الفنون

مجلة ادبية تصدر مرة في كل شهر



رئيس تحريرها نسيب عريضه

قيمة الاشتراك = ستة ريالات اميركية لسنة في الولايات المتحدة وتوابعها وسبعة في الخارج والدفع سلفاً ·

AL-FUNOON
72 TRINITY PLACE
NEW YORK

الجزء الثامن — السنة الثالثة

-- المشتركون خارج الولايات المتحدة --

لهذه المجلة انصار كثار في الجوالي البعيدة وعددهم في ازدياد كل يوم· الا ان اكثرهم لم يسددوا بدلات اشتراكهم حتى الان لتعذر ايصالها الى الادارة رأساً من جهات قصية في بلاد مختلفة · ولهذا قد عينت ادارة الفنون وكلاء لها في الجهات لينوبوا عنها بقبض الاشتراكات وما يتعلق بها من شؤون المجلة وهذه اسماؤهم

الوكيل العام في البرازيل — مخائيل ناصيف فرح

MIGUEL N. FARAH
Rua 25 de Marco No. 237-Sob. — Caixa Postal 1393
S. PAULO - BRAZIL

في مناوس البرازيل وجوارها — يوسف حداد الحمصي

JOSEPH HADDAD
Praca Oswaldo Cruz No. 18-A — Junto do Correio,
MANAOS, BRAZIL

في المكسيك — يوسف ضو

JOSEPH DAW
Calle 50 No. 510 Apartado 250 — Merida, Yuc., MEXICO

في بوينس آيرس (الارجنتين) والولايات المجاورة — خيرالله عريضه

G. ARIDA
Tres Sargentos, 415. Buenos Aires, — R. ARGENTINA

في تشيلي — انطونيوس بالش

ANTONIO VALECH
21 de MAYO — Santiago, Chile

فنرجو من المشتركين في هذه الجهات ان يسارعوا الى تلبية نداء الفنون ويبعثوا ببدلات اشتراكها اما الينا رأساً — ان استطاعوا — واما الى الوكلا ليخففوا عنا شيئاً من عناء الجهاد فنستطيع مداومة خدمتهم في الحين



كلمة الى انصار الفنون

تصدر الفنون اليوم متأخرة عن ميعادها وبحلة غير حلتها الزاهية ·

وهي اول مرة تصدر فيها بحلة غير ما تعودها القارىء من حيث الورق والجمال الخارجي ·

وقد يستاء الكثير من الانصار والقراء فينحون باللائمة عَلَى الادارة وينسبون اليها اسباب التغيير · فلا بدّ اذن من قول كلمة تبين للقراء موقف الفنون الحالي وما احوجها الى تغيير هيئتها بعد ان حافظت عليها منذ نشأتها ·

— للضرورة احكام !

هذا كل ما عندنا لنقوله اعتذاراً لقراء المجلة ولا سيما للانصار الذين رافقوها منذ ظهورها وشاركوها في جهادها واقالوا عثرتها ايام زلتها · ولعمري انه لعذر مقتضب ولكن عليه شروحاً طويلة ·

« موقف الفنون »

كان الجهاد حليف الفنون منذ نشأتها · ولكم تكلفت المشاق في سبيل ابقاء حلتها الجميلة وحجمها الكبير · عَلَى ان اليوم لم يلبث ان أزف · وهو يومٌ مشؤوم اضطرت فيه الفنون ان تخضع لاحكام ايام الحرب القاسية وتسير عَلَى خطة غيرها من المجلات — ولا نستثني المجلات الاجنبية الكبرى

كثير من قارئي هذه الاسطر لا يعلم ما تقاسيه الجرائد والمجلات في ايام الحرب من الشدائد والضربات · بل فينا من يظنها تتمتع بالارباح الطائلة مثل باقي المتاجر والمعامل التي اثرى اصحابها في زمن الحرب · والحقيقة ان قسمة السواد الاعظم منها كانت ضيزى ولا سيما قسمة الصحافة العربية التي تحملت ولا تزال تتحمل بثبات عجيب غلاء الورق وحاجات الطباعة ونقص المشتركين (اذ ذهب اكثر الشبان الى الجندية) وازدياد اجور البريد والعمال · وليس بين الجرائد السورية من لم تخسر وتنفق فوق وسعها في السنة الماضية · فما قولك بالمجلات التي هي دون الجرائد في كمية المشتركين واقبال القراء — اذ لا يطالعها الا الادباء الميالون الى هذا النوع من الادب

في الولايات المتحدة اكثر من خمسة الاف مجلة وجريدة توقفت عن صدورها اضطراراً في ايام الحرب ·

والفنون — وهي بالنسبة الى تلك المجلات والجرائد لحقيرة فقيرة — لا تزال ثابتة رغم تقلقل مركزها وستثبت — ان شاء الله — واذا اعارها قراؤها اذناً صاغية وقاموا بواجباتهم نحوها لتثابر عَلَى القيام بواجباتها نحوهم

« شكوى الفنون »

وانما مصيبة هذه المجلة اليوم هي انها تتجشم المصاعب والضربات

وتتحمل غلاء الاسعار وازدياد المصاريف بينا مواردها تكاد تكون مقطوعة ·
وانا — وأيم الحق — لنستحي ان نجاهر بان كثيرين من مشتركيها معرضون عنها متغافلون عن واجباتهم · وكأنهم يظنون ان لها مورداً غير قيم الاشتراك · وفي دفاتر الفنون اسماء تزيد عن الالف لا يزال اربابها متأخرين في الدفع — بعضهم عن السنة الماضية وبعضهم عن السنة الحالية التي اوشكت ان تنصرم · وبين هذا الفريق الثاني من يدّعي بان لا حق للادارة بمطالبته قبل انتهاء السنة مع ان القوانين تقضي عَلَى كل مشترك بالدفع سلفاً ·

فهل لكل قارىء ان يفحص ضميره لدى رؤيته هذا الجزء صادراً بحلة ليست عَلَى شيء من الجمال ، فيحاسب نفسه بنفسه ليرى ما اذا كان مقصراً في سبيل الفنون قائماً بواجباته نحوها اتم القيام ، حتى اذا شعر بتبكيت يفعل ما يوحيه اليه ضميره ويكفر عن تقصيره وينصر مبدأ الادب قبل انخذاله

ليس في ادارة الفنون من العمال ما يكفي للقيام باعمال التحرير والمشارفة عَلَى الطبع · فلذلك نرجو من كل مشترك ذي ضمير حي أن لا ينتظر مطالبات الادارة ليدفع ما عليه · فليس في الادارة من العمال من يقوم بذلك · ولا تستطيع المجلة الآن تكبد اجرة كاتب تخصصه للمطالبة مع ما هي فيه من الازمات ·

ولتكن غيرة كل اديب « محامياً » عن الفنون

ولكن غيرة كل اديب « محامياً » عن الفنون

وحينئذٍ تتغلب الفنون عَلَى كل صعوبة وتعود الى الصدور في ميعادها بحلتها النفيسة وحجمها الكبير ·

وسلامٌ عَلَى كل مناصر يدرك قيمة الادب ويعطي كل ذي حق حقه ·

ادارة مجلة الفنون



—(رجاء)—

الادارة بحاجة الى اعداد السنة الماضية كلها ما عدا الخامس والثاني عشر منها والى العددين الثاني والخامس من السنة الحالية · فالمرجو ممن كان بغنى عن احدها او عن كلها ان يرسله الينا فيفاوض الادارة بشأن ما يبتغيه عوضاً عنه

· · · · ·

قصّر مشتركو الخارج في دفع بدلاتهم عن العام الماضي والسنة الحالية لتعذر ارسال القيمة الينا رأساً · اما الآن وقد عينا لهم وكلاء في كل جالية تقريباً فعسى ان يمحوا التقصير الماضي ويحققوا ما عُرف عنهم من الغيرة عَلَى الادب الوطني ·

تنبيه من الادارة

نرجو من المشتركين ان يجروا حسب الارشادات الآتية وبذاك يخففون عنا وعن انفسهم عناءً كبيراً :

اذا غيرت عنوانك فاعلمنا حالاً وارسل العنوان القديم مع الجديد بخط واضح .

كل المراسلات يجب ان تكون باسم ادارة المجلة الا ما كان خصوصياً منها فيكتب عليه « خصوصي »

كل الرسائل ، سواء كانت من مشتركين قديمين او حديثين ، يجب ان تتضمن عنوان المراسل .

عندما تسدد بدل اشتراكك بحوالة بريد او بنك فاكتبها باسم « الفنون » لا باسم محررها او مديرها .

اذا دفعت بدل اشتراكك سلفاً تساعدنا عَلَى اصدار المجلة في اوقاتها فتحسن بذاك الى نفسك والى الذين دفعوا قبلك .

لو جرّب كل مشترك ان يأتينا ولو بمشترك واحد جديد لتضاعف عدد المشتركين وتمكننا من التحسين والتوسيع في « الفنون » وذاك يعود بالنفع عَلَى الفريقين .

جرّب اليوم !

* * * * *

قرض الحرية

(لجبران خليل جبران)

(كتبت تلبية لاقتراح لجنة المنشورات من الفرع السوري لقرض الحرية ووصلت منها الى هذه الجريدة)

ايها السوري — لقد كنت غريباً في بلادك ، غريباً بين اهلك وخلانك فتركت بلادك فقيراً مضطهداً وفي قلبك غصات من دولتك المستبدة وحكومتك الظالمة وجئت الولايات المتحدة طالباً الارتزاق فوجدتها ارضاً تدر لبناً وعسلا ، جئتها طالباً الطمأنينة فوجدتها ارض سلام وامان ، جئتها طالباً الحرية ولم تطأ قدماك تربتها حتى وجدت نفسك حراً مستقلا بكل ما في الحرية والاستقلال من احترام الذات والاعتماد عَلَى الذات واظهار ما في الذات من القوى والمواهب .

أيها السوري — قد جئت اماركا فقيراً فاستغنيت ، ضعيفاً فتقويت ، مظلوماً فنُصرت ، خائفاً فتشجعت ، تعساً فسُعدت ،فانت اليوم في حالة يراها المتخلفون في سوريا من خلال غيوم الاضطهادات والتجويع والموت فيحسبونك في جنة ويحسبون نفوسهم في جحيم

أيها السوري — ان هذا الشعب العظيم القوي الحر الذي التجأت اليه قد شاء منذ سنة ونصف ان لا يكون متفرداً بعظمته وقوته وحريته ، قد نظر فرأى ان حقوق الافراد والجماعات يجب ان لا تبقى مهضومة في اي بلد من بلاد الله . قد رأى ان الشعوب الضعيفة لا تستطيع ان تحقق امانيها

العمرانية والاجتماعية والاقتصادية الا بمعاونة الشعوب القوية الحرة · قد رأى ان يكسر بعزمه تلك القيود والسلاسل التي تجرها الامم المظلومة المستعبدة ، فهب كالجبار شاهراً الحرب عَلَى اعداء الحق والعدالة والحرية والاستقلال · ·

لاول مرة في تاريخ الجنس البشري قد شهرت أمة عظيمة حرباً ولا مطمع لها بافتتاح بلد او اكتساب جزية أو توسيع تجارة · لاول مرة في تاريخ الحروب قد آلى شعب قوي عَلَى نفسه ان يهرق دمآء بنيه ويبذل خزائنه من اجل تحقيق المبدأ العلوي القائل بان الانسان قد وُلد حراً وان البشر قد خلقوا متساوين وان الحكومات قد وجدت لخير الشعوب لا للاستبداد بها ·

أيها السوري — ان الامة التي اظهرت وتظهر هذه الغيرية السامية هي الامة التي أنت اليوم جزء من اجزائها وعضو من اعضائها · هي الامة التي آوتك غريباً ، وحمتك مظلوماً ، واغنتك محتاجاً · هي الامة التي انتصبت منذ مئة واربعين سنة امام وجه الشمس كرمز لابعد الاماني الانسانية ، بل كمثال ظاهر لاشرف واعمق حلم في القلب البشري · هي الامة التي تغسل اليوم بدمها النقي ادران العالم ·

وهذه الامة — هذه الامة النبيلة — تطلب اليك الان ان تصنع امامها جزءاً من الف مما صنعته امامك · تطلب اليك ان تكون الرجل الحر الذي جعلته وصيَّرته رجلا حراً · تطلب اليك ان تكون الابن الكريم الذي تبنته واوقفته بين ابنائها الكرام · تطلب اليك ان تقوم بواجبك نحو نفسك · تطلب اليك ان تشترك بقرض الحرية الرابع

وهل تدري أيها السوري ماذا يعني الاشتراك بقرض الحرية ؟

ان الاشتراك بهذا القرض لا يعني ارجاع بعض المال الذي اكتسبته في الولايات المتحدة الى خزينة الولايات المتحدة كمكافأة لها عَلَى الاخذ بناصرك وسهرها عليك · ولا يعني ان الولايات المتحدة التي وهبتك الشيء الكثير تريد منك ان تهبها فلساً واحداً · ولا يعني ان الولايات المتحدة قد فتحت اكتتاباً وطلبت من ابنائها اظهار اريحيتهم وكرم اخلاقهم · ولا يعني ان الولايات المتحدة تريد انْ تأخذ منك الذهب والفضة لتعطيك بدلا منها بعض اوراق صفراء لا قيمة لها · كلا — فقرض الحرية لا يعني أمراً من هذه الامور ، لان الولايات المتحدة ليست كتركيا لتغتصب اموال رعاياها عنوة واقتداراً ، وليست كألمانيا لتضع عَلَى اكتاف ابنائها الاحمال الثقيلة التي لن تزول الا بزوالهم

ان قرض الحرية يعني ان الولايات المتحدة تريدك ان تتخذ خزينتها مصرفاً لك ، واذا كانت خزينة الولايات المتحدة ليست باقوى وأبقى من خزائن حكومات العالم كافة اذاً فالنور ظلام والحقيقة حماقة

الولايات المتحدة تريد اليوم ان تستدين منك المال الذي تضعه في أحد المصارف ، واذا كانت حكومة الولايات ليست اثبت وآمن من جميع المصارف الاحتياطية والاقتصادية والتجارية في العالم اجمع اذاً فالحياة جنون والمعرفة جهالة ·

ولما كانت الولايات المتحدة لا تريد الاشتراك بقرض الحرية ان يكون شكلا من التضحية — مع اننا في زمن تحلو فيه التضحية الكبرى — فهي

ستدفع اليك فائدة اربعة وربع بالمئة عن كلَ ريال تضعه في خزينتها • اذاً فمعنى الاشتراك في قرض الحرية هو تحويل مالك من مصرف محلي يديره بعض الافراد الى اعظم مصرف تديره اعظم حكومة في اعظم أمة عَلَى الارض

أيها السوري — ان الولايات المتحدة واحلافها يحاربون من اجلك ، يحاربون من اجل وطنك القديم ووطنك الجديد • يحاربون من اجل ابنائك وابنآء ابنآء ابنائك لاجيال لا عداد لها ، يحاربون من اجل الحق والحق هو ميراث كل نفس حية ، يحاربون من اجل العدالة والعدالة هي الاساس الذي بُنيت عليه المدنية • يحاربون من اجل الحرية واذا فقدت الحرية من الارض فالمال الذي جمعته والتجارة التي أسستها والبيت الذي اقتنيته وكل ما تحسبه لك يصبح كالهبآء المنثور ، بل ان حياتك — حياتك ذاتها بما فيها من الرغائب اللذيذة والاماني المستحبة تتحول الى شكل من الموت

أيها السوري — اني اكتب اليك هذه الكلمة في اجل واجمل ساعة في تاريخ سوريا والسوريين • اني اكتب اليك والفضآء يهتز طرباً لانقاذ وطنك القديم عن يد احلاف وطنك الجديد • هي ساعة مقدسة فلا تدعها تمر بدون ان تظهر ما في نفسك من عرفان الجميل نحو هذه الامة التي اوجدت في دول الاحلاف عزماً جديداً ووضعت امام بصيرة العالم تلك الحقيقة الاولية المطلقة المجرّدة القائلة بحرية واستقلال الامم الضعيفة ومنها سوريا ارض ابائك واجدادك •

اشترك اليوم في قرض الحرية الرابع •

اشترك بقدر ما تستطيع •

بل اشترك بمبلغ يفوق استطاعتك •

ضع اموالك في خزينة الامة الاميركية فالامة الاميركية تضحي اليوم ابناءها في سبيل الحق ، في سبيل الحرية ، في سبيل الله

طوابع التوفير

W. S. S.

قال الرئيس ولسن « ليست هذه الحرب حرب الجيوش بل حرب الشعوب وهذا يعني ان كل واحد مسوءول عن النتيجة عليه واجب كواجب الجندي في ساحة القتال • فماذا فعلت في سبيل هذه الحرب ؟ انك لم تحمل البندقية ولا وقفت في الخندق ، فماذا فعلت ؟

هل اشتركت في قرض الحرية ؟

هل اشتريت طوابع التوفير ؟

لا تنسَ ان الرئيس ولسن يسأل كل شخص يظلله العلم الاميركي ان يقتني سندات الحكومة وطوابعها وان يحث جاره وصديقه عَلَى اقتنائها فهل قمت بهذا الواجب ؟

انك لا تضحي شيئاً بل تقتصد اموالك وتأخذ عنها فائظاً وفي الوقت نفسه تربح شكر الوطنية والحرية ويحق لك الافتخار •

اشترِ طوابع التوفير فهي موجودة في كل دائرة كبيرة

ملوك اخوان

MALLOUK BROTHERS

47-49 WEST STREET

NEW YORK

الى اصدقائهم وعملائهم

. . . . .

النجاح بالتحسين وليس بالبقاء على حالة واحدة

نحن نسعى بالتحسين في كل يوم وفي كل معمل من معاملنا · موءسس ورئيس هذا المحل احدنا سليم ملوك الذي اخترع ورسم جميع الرسمات المتداولة اليوم بين ايدي المواطنين من مديرا وكلوني وفيله وفنيس وغيرها لا يألو جهداً في استنباط الاصناف والرسمات الجديدة البديعة التي سيظهر اكثرها قريباً في عالم التجارة ·

في مديرا

في ايطاليا

في فرنسا

وفي غيرها من اقطار العالم عيون ساهرة وعقول واعية لخدمة المصلحة وخدمتكم ·

فلا تهملوا صالحكم باغفالكم هذه الامور بل داوموا مخابرتنا او زيارتنا كي لا تفوتكم الفرص السانحة ومن يعش يرى المحل الرئيسي

الى جميع ابناء الوطن المتاجرين في البضائع البيضاء

يسرنا ان نعلن لجميع اصدقاءنا وعملاءنا الذين عرفوا مقدرتنا واستقامة معاملتنا وخبرتنا التجارية في شركة ملوك اخوان · الذي كان احدنا الياس ملوك من موءسسيها وكلانا من القائمين في ادارة اعمالها لغاية تاريخه اننا الان انشأنا محلاً فسيحاً متقناً خاصاً بنا دون سوانا في كامل الطابق الثالث من نمرو ٧٤ الى ٨٠ شارع واشنطون تحت اسم

الياس ملوك واخوه

وقد بذلنا من المال والجهد مدة الستة اشهر الماضية ما مكننا من اقتناء أجود المواد وتحسين معاملنا القديمة التي اشتريناها من شركتنا السابقة وانشاء معامل جديدة في ايطاليا وفرنسا ومديرا تحت مناظرة احدنا الدائمة بحيث صارت وارداتنا من الفيله والكتورك والفنيس والمديرا والكلوني والفلورنتين في مقدمة الواردات من حيث جودتها واتقانها وجمال ازيائها وكمياتها واعتدال اثمانها · وقد قرنا تحسيناً كبيراً في كيفية تسعير بضائعنا وفي داخلية ادارة اشغالنا مما سيزيد في ارباح زبائننا ويكفل لنا رضاهم واقبالهم الدائم علينا · وها اننا على تمام الاستعداد لخدمتهم واقتبال طلبياتهم وتلبيتها بالحال مهما كانت ·

«الياس ملوك واخوه»

MALLOUK BROS.

47 · WEST ST., New York

الزيتون في كاليفورنيا

ذوقوا واحكموا

ليس من ينكر كثرة الصعوبات التي نصادفها من جراء الحرب الاوربية بانقطاع المواد الغذائية السورية عن هذه البلاد الاميركية · ولما كنا قد اعتدنا في السابق ان نحصل عَلَى كل اصناف السمانة العربية من سوريا لم نعد نبالي بالاهتمام لايجادها هنا مع ما كنا نتحمله من الصعوبات والمصارفات في مسألة الشحن · عَلَى انه وقد حالت الظروف في هذه الايام دون الحصول عَلَى متمنياتنا وسدَّت الطرق من كل جانب في وجوهنا فتوهم ابنآء الوطن ان لا لذة تعادل لذة الواردات الوطنية وجدنا غب الامتحانات والاهتمامات التي نجريها دائماً وحباً براحة وخدمة عملائنا الكرام طريقاً لارضائهم فقد ذهب احدنا الى كاليفورنيا حيث اهتمَّ بضمانة كروم الزيتون هناك وصرنا نستورده الى محلنا الخاص فنخرج من انواعه زيتوناً اسود ومرصوصاً بزعتر ومن كان في شك فما عليه الا التجربة كما وانه عندنا جميع انواع السمانة السورية وهذا عنواننا ·

T. K. MALOUF & Co.

79 Washington St. New York

HALABI DRUG STORE

28 Rector St. New York

« صيدلية فلاديمير حلبي »

صاحب الوصايا العشر الصحية المشهورة المجربة باثبات

	من ريال
الفاراتون لوجع المعدة وتنقية الدم والروماتزم	١،٣٥
حبوب نكساتد ايلان الشهيرة الاصلية	١،٠٠
حبوب للمعدة مسهلة ملينة للدكتور فانديك	٠،٣٥
الشربة الهندية لقطع الدودة الوحيدة	٢،٥٠
دهون العجائب لوجع الراس والعصبي الاليم	٠،٣٥
مزيج لازالة الشعر من الجسم والوجه	٠،٥٠
دواء الكلف والنمش الجديد	٠،٦٥
دواء لقشرة الراس وانماء الشعر وعدم سقوطه	٢،٢٥
بودرة لرائحة وعرق الرجلين	٠،٣٥
صبغة للشعر سوداء وصبغة فرنسوية	١،٠٠

وقد افتتحنا صيدلية جديدة في بروكلن وهذا عنوانها

187 ATLANTIC AVENUE BROOKLYN, N.Y.

لا نقبل طلبيات للخارج الا للولايات المتحدة

محتويات الجزء

شعر منثور

للزمخشري (١)

***

يا ابن ابي وامي هات
حديث الآباء والامهات
وحدث عن رجال العشيرة
وكرام الاخلاء والجيره :
من الجار الجُنُب ، وماسِ الطنُب بالطنُب
ومن جاثيناه عَلَى الركب
ومن رفدناه بالخيرِ ورفدناه
وافادنا الحكمة وأفدناه ·
قد اقتضاهم من أوجدهم أن يفنوا

---

(١) — من كنوز الآداب العربية كتاب « اطواق الذهب » للعلامة الزمخشري المتوفى في الجيل الثاني عشر · وقد اخترنا منه هذه القطع من الشعر المنثور ومنها يتضح ان العرب كانو اسبق الى هذه الطريقة البيانية من الغربيين الذين لم ينهجوها الاَّ بعد ان ابدعها تورغينيف الرومي ·

وخلت عنهم الديار كأن لم يغنوا
وكفى بمكاهم واعظاً ، لو صادف من يتعظ
وموقظاً من الغفلة لو وُجد من يتقظ ·

· · · · ·

الاجداد ابلتهم الاجداث ،
والاباء أكلتهم الآباد ،
والابناء عما قليل انباء ·
ففيمَ الحرص علَى ظل قالص
ومقيلٍ انت غداً عنه شاخص ؟

· · · · ·

قصر أجل ، وطول أمل وتقصير في العمل
ما اقفل السهوُ قلوبَ القوم
وخاط عيونهم كرى النوم
فجلّوا عن النظر والاعتبار
وزلّوا عن الابصار والاستبصار ·

· · · · ·

املأ عينيك من زينة هذه الكواكب
وأجلهما في جملة هذه العجائب
متفكراً في قدرة مقدرها وحكمة مدبرها

قبل ان يسافر بك القدر
ويحول بينك وبين النظر

· · · · ·

ذو الحقيقة لا يغرّه ديباج الملوك
ولا يعبأ الا بعباءة الصعلوك ·
يقول : وراء الديباجة ليلٌ دامس
وتحت العباءة نهارٌ شامس

· · · · ·

ربَّ سلاحٍ يقول لصاحبه : ضعني !
وربَّ كلمة تقول لقائلها : دعني !
ان اسلة اللسان تنفذ في ما لا ينفذ الأسل
وتأخذ ما لا يأخذ العسل ·
وايم الله ، ان سفح مصون الماء
أشد من سفك محقون الدماء
فاياك وفلتات الكلم
الاَّ المتدبَّر منها بفيمَ ولِم ·

· · · · ·

ما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه
المرء بأكبريه عمله وايمانه ·

وما يُغني عنه أصفراه ، اذا خانه أكبراه
وان فاقَ عَلَى اياس في زكنه
وعلى قسٍ في لسنه ·

. . . . .

لم أرَ فرسي رهان
مثل الحق والبرهان ·
لله درهما متخاصرين !
ولا عدمتهما متناصرين ·
اصطحبا غير مُباينين اصطحاب أبانين (١)
منْ شدّ يديه بغرزهما ، فقد اعتزّ بعزهما
ومن زلّ عنهما فهو من الذلة أذل
ومن القلة أقل ·

. . . . .

خفّ الزاد · وجفّ المزاد ·
طال السبيل · وحار الدليل ·
وما يدريك علامَ تُقدّم ؟
أتثبت ، أم تزلُ بك القدم ؟

(١) ابانين اسم جبلين



الامم وذواتها

لجبران خليل جبران

الامة مجموع افراد متبايني الاخلاق والمشارب والاراء تضمهم رابطة معنوية اقوى من الاخلاق واعمق من المشارب واعم من الاراء ·

وقد تكون الوحدة الدينية بعض خيوط هذه الرابطة · غير ان الخلاف في العقيدة لا يحل الروابط الامية الا اذا كانت ضعيفة واهية كما هي في بعض البلاد الشرقية ·

وقد تكون وحدة اللغة سبباً اساسياً لايجاد هذه الرابطة ، ولكن هناك شعوب كثيرة تتكلم لغة واحدة مع انها في خلاف مستمر من حيث السياسة والادارة والنظريات الاجتماعية ·

وقد تكون الوحدة الدموية اساساً لهذه الرابطة ، ولكن في التاريخ امثلة عديدة نستدل منها عَلَى ان افخاذ عنصر واحد انشقت بعضها عَلَى بعض وكان ذلك الانشقاق مجلبة للتطاحن والتباغض ثم الاضمحلال ·

وقد تكون المصلحة المادية نولاً تحاك عليه تلك الرابطة ، ولكن هناك شعوب عديدة لم تحك مصلحتهم المادية سوى المنافسة والمناقشة ·

اذن ما هي تلك الرابطة الاجتماعية ؟ وما هي التربة التي تنبت فيها انصاب الامم ؟

لي رأي في الرابطة الامية قد يحسبه بعض المفكرين غريباً لان اصوله ونتائجه ليست من الامور المحسوسة ·

اما رأيي فهو هذا :

لكل شعب ذات عامة · تشابه بجوهرها وطبيعتها ذات الفرد · ومع ان هذه الذات العامة تستمد كيانها من افراد الشعب كما تستمد الشجرة حياتها من الماء والتراب والنور والحرارة فهي مستقلة عن الشعب ولها حياة خاصة وارادة منفردة · وكما يصعب علي تحديد وتعيين الزمن الذي تتولد فيه ذات الفرد الواحد هكذا يصعب علي تعيين وتحديد الزمن الذي تتولد فيه الذات العامة · غير انني اشعر ان الذات المصرية — مثلاً — قد تبلورت قبل ظهور الدولة الاولى على ضفاف النيل بزمن لا يقل عن خمسمئة سنة · ومن تلك الذات العامة قد استمدت مصر مظاهرها الفنية والدينية والاجتماعية وما اقوله عن مصر يصح في اشور وفارس واليونان وروما والعرب وغيرها من الامم الحديثة اعني تلك التي ظهرت بعد انقضاء الاجيال المتوسطة ·

قلت ان للذات العامة حياة خاصة · نعم ، ولما كان لكل حي عمر محدود كان لتلك الذات العامة اجل محدود لا تتجاوزه · ومثلما يسير الكيان

الفردي من الطفولية ، الى الشبيبة ، الى الكهولة ، الى الشيخوخة هكذا يتدرج كيان الذات العامة من يقظة الفجر الموشحة بنقاب النوم ، الى يقظة الظهر المتجلببة بنور الشمس ، الى يقظة المسآء المتسربلة بلباس التضجر الى يقظة الليل المغمورة بالنعاس ، الى سبات عميق ·

ان الذات اليونانية قد استيقظت في القرن العاشر قبل المسيح · ومشت بعزم وجلال في القرن الخامس ق · م · ولما بلغت عهد الناصري كانت قد ملت احلام اليقظة فنامت على مضجع الابدية لتعانق احلام الابدية

اما الذات العربية فقد تجوهرت وشعرت بكيانها الشخصي في القرن الثالث قبل الاسلام ولم تتمخض بالنبي محمد حتى انتصبت كالجبار وثارت كالعاصفة متغلبة على كل ما يقف في سبيلها · ولما بلغت العباسيين تربعت على عرش منتصب فوق قواعد لا عداد لها اولها في الهند وآخرها في الاندلس ولما بلغت عصارى نهارها و كانت الذات المغولية قد أخذت تنمو وتمتد من الشرق الى الغرب كرهت الذات العربية يقظتها فنامت ولكن نوماً خفيفاً متقطعاً · وقد تعود وتفيق ثانية لتبين ما بقي خفياً في نفسها كما عادت الذات الرومانية في زمن النهضة الايطالية المعروفة بالرنسانس واكملت في البندقية وفلورنسا وميلان ما ابتدأت به قبل ان تباغتها الشعوب التوتونية في بدء الاجيال المظلمة ·

واغرب الذوات العامة في التاريخ هي الذات الفرنساوية · فها قد عاشت الفي سنة امام وجه الشمس ولم تزل في شبيبة نضرة · وهي اليوم ادق فكراً

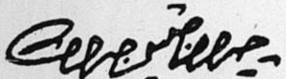
وأحدّ نظراً واوسع فناً وعلماً مما كانت في اي زمن من تاريخها المجيد فرودان وكارير وشيتان وهوغو ورينان وساسه وسيموني ، وجميعهم من ابناء القرن التاسع عشرة كانوا اعظم رجال العالم فناً ، واكثرهم علماً ، وابعدهم خيالاً — الامر الذي يدلنا عَلى ان لبعض الذوات العامة اعماراً اطول من الاخرى . فالذات المصرية عاشت ثلاثة الاف سنة . اما الذات اليونانية فلم تعش اكثر من الف سنة . وقد تكون الاسباب في طول آجال الذوات العامة او قصرها شبيهة باسباب قصر اعمار الافراد أو طولها

وماذا يا ترى يحل بالذات العامة بعد أن تلعب دورها عَلى مسرح الوجود ؟

هل تموت وتفنى بدورها غير تاركة وراءها سوى الذكرى لمن يجيء بعدها ؟ هل تضمحل امام الايام والليالي كأنها لم تكن مظهراً لليالي والايام ؟

في عقيدتي ان الكيان المعنوي يتغير ، ولكنه لا ولن يضمحل . فهو كالكيان المادي يتحول من شكل الى شكل ومن صورة الى صورة . اما دقائقه وذراته الوضعية فباقية ببقاء الزمن . فذات الامة العامة تنام ولكن نوم الازاهر بعد ان تلقي بذورها في تربة الارض. اما عطرها فيتصاعد الى عالم الخلود . وعندي ان العطر في الامة او في الزهرة هو الحقيقة المجردة — هو الجوهر المطلق . فعطر ثيب وبابل ونينوى واثينا وبغداد موجود الآن في الغلاف الاثيري المحيط بالارض ، بل هو موجود في اعماق ارواحنا . ونحن — افراداً وجماعات — ورثة كل الذوات العامة التي وجدت عَلى سطح الارض . غير ان ذلك الارث العلوي لا يتخذ له صوراً محسوسة في

الفرد او الجماعات حتى تتبلور الامة التي ينتسب الافراد والجماعات اليها وتصير ذاتاً لها حياة خاصة وارادة منفردة .



— من هو المهذب —

الرجل المهذب هو الذي أحرز لنفسه معارف شتى حتى سهل له ان يدرك عَلى الفور الفرق بين الجيد والردي والحق والباطل . او بكلمة واحدة — هو الذي اعتاد ان يفكر . وهو ايضاً من سمت شواعره وافكاره حتى بلغت مناهج شريفة سامية ، فحازت عاطفة الحب العظيم الشديد — ألا وهو حب كل امر صالح جميل نبيل (تشرنيشفسكي)

*****

من اصعب الصعاب ان تتصور كوناً دون خالق ، وانساناً بغير نفس ، ومملكة بلا سلطة ، وسلطة بلا شريعة ، وشريعة بلا تنفيذ ، ورعايا بلا حقوق ، وقوياً بلا واجبات ، وضعيفاً بلا حق الاسعاف ، وكنيسة بلا مدرسة ، وخبزاً بلا تعب ، وتعباً بلا طعام ، وعلماً بلا حرية ، وحرية بلا حدود ، وشراً بلا عقاب ، وقضاءً بلا رحمة . (بليڤاكو)



مفاخرة العرب في بلاط كسرى

لابن الكلبي

قدم النعمان بن المنذر عَلَى كسرى وعنده وفود الروم والهند والصين ، فذكروا من ملوكهم وبلادهم . فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم عَلَى جميع الامم لا يستثني فارس ولا غيرها .

فقال كسرى ، واخذته عزة الملك :

— يا نعمان ، لقد فكرت في امر العرب وغيرهم من الامم ونظرت في حال من يقدم من الامم ، فوجدت الروم لها حظاً في اجتماع الفتها ، وعظم سلطانها ، وكثرة مدائنها ، ووثيق بنيانها ، وان لها ديناً يبين حلالها وحرامها ويرد سفيهها ويقيم جاهلها . ورأيت الهند نحواً من ذلك في حكمتها وطبها مع كثرة انهار بلادها وثمارها وعجيب صناعاتها وطيب اشجارها ودقيق حسابها وكثرة عددها . وكذلك الصين في اجتماعها ، وكثرة صناعات ايديها ، وفروسيتها وهمتها في آلة الحرب ، وصناعة الحديد ، وان لها ملكاً

يجمعها . والترك والخزر عَلَى ما بهم من سوء الحال في المعاش وقلة الريف والثمار والحصون وما هو رأس عمارة الدنيا من المساكن والملابس لهم ملوك تضم قواصيهم وتدبر امرهم . ولم أرَ للعرب شيئاً من خصال الخير في أمر دين ولا دنيا ولا حزم ولا قوة . ومما يدل عَلَى مهانتها وذلها وصغر همتها محلتهم التي هم بها مع الوحوش النافرة والطير الحائرة يقتلون اولادهم من الفاقة ويأكل بعضهم بعضاً من الحاجة ، وقد خرجوا من مطاعم الدنيا وملابسها ومشاربها ولهوها ولذتها . فأفضل طعام ظفر به ناعمهم لحوم الابل التي يعافها كثير من الوحوش لثقلها وسوء طعمها وخوف دائها . وان قرى احدهم ضيفاً عدَّها مكرمة ، وان أُطعم اكلة عدَّها غنيمة تنطق بذلك اشعارهم وتفتخر بذلك رجالهم . ما خلا هذه التنوخية التي اسس جدي اجتماعها وشدّ مملكتها ومنعها من عدوها فجرى لها ذلك الى يومنا هذا ثم لا اراكم تستكينون عَلَى ما بكم من الذلة والقلة والفاقة والبوءس حتى تفتخروا وتريدوا ان تنزلوا فوق مراتب الناس .

فقال النعمان

— اصلح الله الملك . حق لامةٍ الملك منها ان يسمو فضلها ويعظم خطبها وتعلو درجتها ، الا ان عندي جواباً في كل ما نطق الملك بها في غير ردٍ عليه ولا تكذيب له ، فان أمنني من غضبه نطقت به

فقال كسرى — قل ، فأنت آمن .

فقال النعمان — اما امتك ايها الملك فليست تنازع في الفضل لموضعها

الذي هي به من عقولها ، واحلامها ، وبسطة محلها ، وبحبوحة عزها ، وما اكرمها الله به من ولاية ابائك وولايتك : واما الامم التي ذكرت — فأي امة تقرنها بالعرب الا فضلتها ؟

فقال كسرى — بماذا ؟

قال النعمان — بعزها ومنعتها وحسن وجوهها وبأسها وسخائها وحكمة ألسنتها وشدة عقولها وانفتها ووفائها .

فاما عزها ومنعتها . فانها لم تزل مجاورة لابائك الذين دوخوا البلاد ووطدوا الملك وقادوا الجند ، لم يطمع فيهم طامع ، ولم ينلهم نائل ، حصونهم ظهور خيلهم ومهادهم الارض وسقوفهم السماء وجنتهم السيوف وعدتهم الصبر ، اذ غيرها من الامم انما عزها الحجارة والطين وجزائر البحور

واما حسن وجوهها وألوانها ، فقد يعرف فضلهم في ذلك عَلَى غيرهم من الهند المنحرفة والصين المنحفة والترك المشوهة والروم المقشرة

واما انسابها واحسابها ، فليست امة من الامم الا وقد جهلت اباءها واصولها وكثيراً من اولها ، حتى ان احدهم يسأل عمن وراء ابيه دينا فلا ينسبه ولا يعرفه . وليس احد من العرب لا يسمي اباءه ، أباً فأباً ، احاطوا بذلك احسابهم وحفظوا به انسابهم ، فلا يدخل رجل في غير قومه ولا ينتسب الى غير نسبه ولا يدعى الى غير ابيه .

واما سخاؤها ، فان ادناهم رجلاً الذي تكون عنده البكرة والناب عليها بلاغه في حموله وشبعه وريه فيطرقه الطارق الذي يكتفي بالفلذة

ويجتزي بالشربة فيعقرها له ويرضى ان يخرج عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الاحدوثة وطيب الذكر .

واما حكمة ألسنتهم ، فان الله تعالى اعطاهم في اشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه مع معرفتهم بالاشياء وضربهم للامثال وابلاغهم في الصفات ما ليس لشيء من ألسنة الاجناس .

ثم خيلهم أفضل الخيل ، ونساؤهم اعف النساء ، ولباسهم افضل اللباس ، ومعادنهم الذهب والفضة ، وحجارة جبالهم الجزع ، ومطاياهم التي لا يبلغ عَلَى مثلها سفن ولا يقطع بمثلها بلد قفر .

واما دينها وشريعتها ، فانهم متمسكون به حتى يبلغ احدهم من نسكه بدينه ان لهم اشهراً حراماً وبلداً محرماً وبيتاً محجوجاً ينسكون فيه مناسكهم ويذبحون فيه ذبائحهم ، فيلقى الرجل قاتل ابيه او اخيه وهو قادر عَلَى أخذ ثاره وادراك رغمه منه فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله باذى

واما وفاؤها ، فان احدهم يلحظ اللحظة ويومىء الايماء فهي ولب وعقدة لا يحلها الا خروج نفسه . وان احدهم يرفع عوداً من الارض فيكون رهناً بدينه فلا يغلق رهنه ولا تخفر ذمته . وان احدهم ليبلغه ان رجلاً استجار به وعسى ان يكون نائباً عن داره فيصاب ، فلا يرضى حتى يفني تلك القبيلة التي اصابته وتفنى قبيلته لما اخفر من جواره . وانه ليلجأ اليهم المجرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة فتكون انفسهم دون نفسه واموالهم دون ماله .

واما قولك ايها الملك ، انهم يئدون اولادهم ، فانما يفعله من يفعله منهم بالاناث انفة من العار وغيرة من الازواج ·

واما قولك ان افضل طعامهم لحوم الابل عَلَى ما وصفت منها ، فما تركوا ما دونها الا احتقاراً له فعمدوا الى أجلّها وافضلها ، فكانت مراكبهم وطعامهم مع انها اكثر البهائم شحوماً ، واطيبها لحوماً ، وارقها البانا ، واقلها غائلة ، واحلاها مضغة ، وانه لا شيء من اللحمان يعالج ما يعالج به لحمها الا استبان فضلها عليه ·

واما تحاربهم واكل بعضهم بعضاً وتركهم الانقياد لرجل يوسسهم ويجمعهم ، فانما يفعل ذلك من يفعله من الامم اذا آنست من نفسها ضعفاً وتخوفت نهوض عدوها اليها بالزحف ، وانه انما يكون في المملكة العظيمة اهل بيت واحد يعرف فضلهم عَلَى سائر غيرهم فيلقون اليهم امورهم وينقادون لهم بازمتهم · واما العرب ، فان ذلك كثير فيهم حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكاً أجمعين مع انفتهم عن اداء الخراج والوطف بالعسف

فعجب كسرى لما اجابه به النعمان وقال

— انك لاهل لموضعك من الرياسة في اهل اقليمك ولما هو افضل ·

ثم كساه من كسوته وسرّحه الى موضعه من الحيرة ·

* * * * *

فلما قدم النعمان الحيرة وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تنقص العرب وتهجين امرهم بعث الى اكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة التميميين ، والى الحرث بن عباد وقيس بن مسعود البكريين ، والى خالد بن جعفر وعلقمة

بن علاثة وعامر بن الطفيل العامريين ، والى عمرو بن الشريد السلمي ، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي ، والحرث بن ظالم المري ·

فلما قدموا عليه في الخورنق قال لهم

— قد عرفتم هذه الاعاجم وقرب جوار العرب منها · وقد سمعت من كسرى مقالات تخوفت ان يكون لها غوراً ويكون انما اظهرها لامر اراد ان يتخذ به العرب خولاً كبعض طماطمته في تأديتهم الخراج اليه كما يفعل بملوك الامم الذين حوله ·

ثم اقتص عليهم مقالات كسرى وما ردّ عليه · فقالوا

— ايها الملك ، وفقك الله ، ما أحسن ما رددت وابلغ ما حججته به ، فمرنا بامرك وادعنا الى ما شئت ·

قال — انما انا رجل منكم ، وانما ملكتُ وعززتُ بمكانكم وما يتخوف من ناحيتكم · وليس شيء احبّ اليّ مما سدد الله به امركم واصلح به شأنكم وادام به عزكم · والرأي ان تسيروا بجماعتكم ايها الرهط وتنطلقوا الى كسرى · فاذا دخلتم نطق كل رجل منكم بما حضره ليعلم ان العرب عَلَى غير ما ظن أو حدثته نفسه · ولا ينطق رجل منكم بما يغضبه ، فانه ملك عظيم السلطان ، كثير الاعوان ، مترف ، معجب بنفسه · ولا تنخذلوا له انخذال الخاضع الذليل · وليكن امر بين ذلك تظهر به وثاقة حلومكم وفضل منزلتكم وعظيم اخطاركم · وليكن اول من يبدأ منكم بالكلام أكثم بن صيفي لسني حاله · ثم تتابعوا عَلَى الامر من منازلكم التي وضعتكم بها · فانما

دعاني الى التقدمة اليكم علمي بجميل كل رجل منكم عَلَى التقدم قبل صاحبه · فلا يكونن ذلك منكم فيجد في آدابكم مطعناً ، فانه ملك مترف وقادر مسلط

ثم دعا لهم بما في خزائنه من طرائف حلل الملوك فألبس كل رجل منهم حلة وعممه عمامة وختمه بياقوتة وامر لكل رجل منهم بنجيبة مهرية وفرس نجيبة وكتب معهم كتاباً —

« اما بعد فان الملك ألقى اليَّ من امر العرب ما قد علمت واجبته بما قد فهم بما احببت ان يكون منه عَلَى علم · ولا يتلجلج في نفسه ان امة من الامم التي احتجزت دونه بمملكتها وحمت ما يليها بفضل قوتها تبلغها في شيء من الامور التي يتعزز بها ذوو الحزم والقوة والتدبير والمكيدة · وقد اوفدت ايها الملك رهطاً من العرب لهم فضل في احسابهم وانسابهم وعقولهم وآدابهم فليسمع الملك وليغضِ عن جفاء ان ظهر من منطقهم وليكرمني باكرامهم وتعجيل سراحهم · وقد نسبتهم في اسفل كتابي هذا الى عشائرهم »

فخرج القوم في اهبتهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن · فدفعوا اليه كتاب النعمان فقرأه وامر بانزالهم الى ان يجلس لهم مجلساً يسمع منه ·

فلما أن كان بعد ذلك بايام امر مرازبته ووجوه اهل مملكته فحضروا وجلسوا عَلَى كراسي عن يمينه وشماله · ثم دعا بهم عَلَى الولاء والمراتب التي وصفهم بها النعمان في كتابه واقام الترجمان ليوءدي اليه كلامهم · ثم اذن لهم في الكلام ·

فقام اكثم بن صيفي فقال :

— ان افضل الاشياء اعاليها ، واعلى الرجال ملوكهم ، وافضل الملوك اعمهم نفعاً ، وخير الازمنة اخصبها ، وافضل الخطباء اصدقها · الصدق منجاة ، والكذب مهواة ، والشر لجاجة ، والحزم مركبٌ صعب ، والعجز مركبٌ وطيء · آفة الرأي الهوى ، والعجز مفتاح الفقر ، وخير الامور الصبر · حسن الظن عصمة · اصلاح فساد الرعية خير من اصلاح فساد الراعي · من فسدت بطانته كان كالغاص بالماء البارد · شر البلاد بلادٌ لا أمير بها ، وشر الملوك من خافه البريء · خير الاعوان من لم يراء بالنصيحة · احق الجنود بالنصر من حسنت سريرته · يكفيك من الزاد ما بلغك المحل · حسبك من شرٍ سماعه · الصمت حكم وقليل فاعله · البلاغة الايجاز · من شدد نفر ومن تراخى تألف ·

فتعجب كسرى من اكثم ثم قال :

— ويحك ، يا اكثم ! ما احكمك ، وأوثق كلامك ، لولا وضعك كلامك في غير موضعه !

فقال اكثم — الصدق ينبىء عنك لاَ الوعيد ·

فقال كسرى — لو لم يكن للعرب غيرك لكفى !

فقال اكثم — ربَّ قول انفذ من صول !

ثم قال حاجب بن زرارة التميمي وقال

— ورى زندك ، وعلت يدك ، وهيب سلطانك · ان العرب امة قد غلظت اكبادها واستحصدت مرتها ومنعت درتها ، وهي لك وامقة ما تألفتها ،

مسترسلة ما لا ينتها ، سامعة ما سامحتها ، وهي العلقم مرارة ، وهي الصاب غضاضة ، والعسل حلاوة ، والماء الزلال سلالة · نحن وفودها اليك وألسنتها لديك · ذمتنا محفوظة واحسابنا ممنوعة وعشائرنا فينا سامعة مطيعة · ان نوءب لك حامدين خيراً فالك بذلك عموم محمدتنا وان نذم لم نخض بالذم دونها ·

قال كسرى — يا حاجب ، ما اشبه حجل التلال بألوان صخرها !

فقال حاجب — بل زئير الاسد بصولتها

ثم قام الحرث بن عباد البكري فقال

-- دامت لك المملكة باستكمال جزيل حظها وعلو سنائها · من طال رشاوءه كثر متحه ، ومن ذهب ماله قلَّ منحه · تناقل الاقاويل يعرب اللب · وهذا مقام سيوجف بما تنطق به الركب وتعرف به كنه حالنا العجم والعرب · ونحن جيرانك الادنون واعوانك المعينون · خيولنا جمة وجيوشنا فخمة · ان استنجدتنا فغير ربض ، وان استطرقتنا فغير جهض ، وان طلبتنا فغير غمض · لا نثني لذعر ولا نتنكر لدهر · رماحنا طوال واعمارنا قصار

قال كسرى -- انفسٌ عزيزة والله ضعيفة ·

فقال الحرث — ايها الملك ، وأنى يكون لضعيف عزة أو لصغير مرة ·

فقال كسرى — لو قصر عمرك لم نستولِ عَلَى لسانك نفسك

فقال الحرث — ايها الملك ، ان الفارس اذا حمل عَلَى الكتيبة مغرراً بنفسه عَلَى الموت فهي منيَّة استقبلها ، وجنان استدبرها · والعرب تعلم اني ابعث

الحرب قدماً واحبسها وهي تصرف بها حتى اذا جاشت نارها وسعرت لظاها وكشفت عن ساقها جعلت مقادها رمحي وبرقها سيفي ورعدها زئيري ولم أقصر عن خوض خضخاضها حتى انغمس في غمرات لججها واكون فلكاً لفرساني الى بحبوحة كبشها فاستمطرها دماً واترك حماتها جزر السباع وكل نسر قشعم ·

فقال كسرى لمن حضره من العرب

— أكذلك هو ؟

قالوا — فعاله انطق من لسانه ·

فقال كسرى -- ما رأيت كاليوم وفداً أحشد ، ولا شهوداً أوفد !

ثم قام عمرو بن الشريد السلمي فقال :

— ايها الملك ، نعم بالك ودام في السرور حالك · ان عاقبة الكلام متدبرة واشكال الامور معتبرة ، وفي كثير ثقلة ، وفي قليل بلغة ، وفي الملوك سورة العز · وهذا منطق له ما بعده ، شرف فيه من شرف وخمل فيه من خمل · لم نأتِ لضيمك ، ولم نفد لسخطك ، ولم نتعرض لرفدك · ان في اموالنا منتقداً وعَلَى عزنا معتمداً · ان اورينا ناراً اثقبنا وان ارد دهر بنا اعتدلنا ، الا انا مع هذا لجوارك حافظون ولمن رامك كافحون حتى يحمد الصدر ويستطاب الخبر ·

فقال كسرى — ما يقوم قصد منطقك بافراطك ، ولا مدحك بذمك

فقال عمرو — وكفى بقليل قصدي هادياً ، وبأيسر افراطي مخبراً ·

ولم يُلم من غربت نفسه عما يعلم ورضي من القصد بما بلغ ·

قال كسرى — ما كل ما يعرف المرء ينطق به · اجلس

ثم قام خالد بن جعفر الكلابي فقال

— احضر الله الملك اسعاداً ، وارشده ارشاداً · ان لكل منطق فرصة ، ولكل حاجة غصة ، وعي المنطق اشد من عي السكوت ، وعثار القول انكأ من عثار الوعث · وما فرصة المنطق عندنا الا بما نهوى ، وغصة المنطق بما لا نهوى غير مستسائغة · وتركي ما اعلم من نفسي ويعلم من سمعي انني له مطيق احب الي من تكلفي ما اتخوف ويتخوف مني · وقد أوفدنا اليك ملكنا النعمان وهو لك من خير الاعوان ونعم حامل المعروف والاحسان · انفسنا بالطاعة لك باخعة ورقابنا بالنصيحة خاضعة وايدينا لك بالوفاء رهينة ·

فقال له كسرى — نطقت بعقل وسموت بفضل وعلوت بنبل ·

ثم قام علقمة بن علاثة العامري فقال :

نهجت لك سبل الرشاد وخضعت لك رقاب العباد · ان للاقاويل مناهج ، وللاراء موالج ، وللعويص مخارج · وخير القول اصدقه ، وافضل الطلب انجحه · انا وان كانت المحبة احضرتنا والوفادة قربتنا فليس من حضرك منا بافضل ممن عزب عنك ، بل لو قست كل رجل منهم وعلمت منهم ما علمنا لوجدت له في ابائه انداداً واكفاء كلهم الى الفضل منسوب وبالشرف والسوءدد موصوف وبالرأي الفاضل والادب النافذ معروف ، يحمي حماه ، ويروي نداماه ، ويذود اعداه ، لا تخمد ناره ، ولا يحترز منه جاره · ايها

الملك ، من يبلُ العرب يعرف فضلهم فاصطنع العرب فانها الجبال الرواسي عزاً والبحور الزواخر طياً والنجوم الزواهر شرفاً والحصى عدداً · فان تعرف لهم فضلهم يعزوك ، وان تستصرخهم لا يخذلوك ·

فقال كسرى ، وخشي ان يأتي منه كلام يحمله عَلَى السخط عليه :

— حسبك ، أبلغت واحسنت ·

ثم قام قيس بن مسعود الشيباني فقال :

— أطاب الله بك المشارب ، وجنّبك المصائب ، ووقاك مكروه الشصائب · ما أحقنا اذ أتيناك باسماعك ما لا يحنق صدرك ولا يزرع لنا حقداً في قلبك لم نقدم ايها الملك لمساماة ، ولم نعتصب لمعاداة ، ولكن لتعلم انت ورعيتك ومن حضرك من وفود الامم انّا في المنطق غير محجمين ، وفي الناس غير مقصرين · ان جورينا فغير مسبوقين ، وان سومينا فغير مغلوبين ·

فقال كسرى : — انكم اذا عاهدتم غير وافين : (وهو يعرض به في تركه الوفاء بضمانة السواد)

فقال قيس : — أيها الملك ، ما كنت في ذلك الا كوافٍ غُدر به ، أو كخافر أخفر بذمته ·

فقال كسرى :— ما يكون لضعيف ضمان ولا لذليل خفارة ·

فقال قيس — ايها الملك ، ما انا في ما اخفر من ذمتي أحق منك بالزامي العار في ما قتل من رعيتك وانتهك من حرمتك ·

فقال كسرى — ذلك من ائتمن الخانة واستنجد غير الائمة ناله من

الخطأ ما نالني . وليس كل النَّاس سواء . كيف رأيت حاجب بن زرارة ؟ ألم يحكم قواه فيبرم ، ويعد فينجز ؟

قال — وما أحقه بذلك وما رأيته الا لي .

فقال كسرى — القوم بُزَّل فأفضلها أشدها .

ثم قام عامر بن الطفيل العامري فقال :

— ما اكثر فنونَ المنطق ، وانما الفخر في الفعال والعجز في النجدة والسؤدد مطاوعة القدرة ، وما علمك بقدرنا كبصرك بفضلنا . وبالحري ان ادالت الايام وثابت الاحلام ان تحدثَ لنا امور لها أعلام .

فقال كسرى — وما تلك الأعلام ؟

قال عامر — هي مجتمع الاحياء من ربيعة ومضر عَلَى أمر يذكر .

قال كسرى — وما الامر الذي يُذكر ؟

قال — ما لي علم بأكثر مما خبرني به مُخبر (١)

قال كسرى — متى تكاهنت يا ابن الطفيل ؟

قال — لست بكاهن ، ولكني بالرمح طاعن .

قال كسرى — فان اتاك آتٍ من جهة عينك العوراء فما انت صانع ؟

قال — ما هيبتي في قفاي بدون هيبتي في وجهي . وما اذهب عيني عبث ، ولكن مطاوعة العبث .

---

(١) ينوه عامر هنا عما يتوقعه من اجتماع كلمة العرب . وقد تم ذلك بعد سنوات من هذه القصة اذ تم تضافرهم بالاسلام

ثم قام عمرو بن معديكرب الزبيدي فقال :

— انما المرء باصغريه : قلبه ولسانه ، فبلاغ المنطق الصواب ، وملاك النجدة الارتياد ، وعفو الرأي خير من استكراه الفكرة ، وتوقيف الخيرة خير من اعتساف الحيرة . فاجتبذ طاعتنا بلفظك واكتظم بادرتنا بحلمك وألن لنا كنفك يسلس لك قيادنا . فإنَّا اناس لم يوقس صفاتنا قراع مناقير من اراد لنا قضماً ، ولكن منعنا حمانا من كل من رام لنا هضماً

ثم قام الحرث بن ظالم المري فقال :

— ان من آفة المنطق الكذب ، ومن لوءم الاخلاق الملق ، ومن خطل الرأي خفة الملك المسلَّط . فان اعلمناك ان مواجهتنا لك عن ائتلاف وانقيادنا لك عن تصافٍ ما أنت لقبول ذلك منا بخليق ولا للاعتماد عليه بحقيق ، ولكن هو الوفاء بالعهود واحكام ولث العقود . والامر بيننا وبينك معتدل ما لم يأتِ من قبلك ميل او زلل

قال كسرى — من أنت ؟

قال — الحرث بن ظالم

قال — ان في اسماء ابائك لدليلاً عَلَى قلة وفائك ، وأن تكون اولى بالغدر واقرب من الوزر .

قال الحرث — ان في الحق مغضبة . والسرو التغافل . ولن يستوجب احد الحلم الا مع القدرة فتشبه افعالك مجلسك .

فقال كسرى — هذا فتى القوم !

ثم قال كسرى — قد فهمت ما نطقت به خطباؤكم · وتعنن فيه متكلموكم · ولولا أني اعلم ان الادب لم يثقف أودكم ولم يحكم امركم ، وأنه ليس لكم ملك يجمعكم فتنطقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخعة ، منطقكم بما استولى عَلَى ألسنتكم وغلب عَلَى طباعكم لم أجز لكم كثيراً مما تكلمتم به · واني لاكره ان أجبه وفودي أو احنق صدورهم والذي احب من اصلاح مدبركم وتآلف شواذكم والاعذار الى الله فيما بيني وبينكم · وقد قبلت ما كان في منطقكم من صواب وصفحت عما كان فيه من خلل · فانصرفوا الى ملككم فأحسنوا موءازرته والتزموا طاعته واردعوا سفهاءكم وأقيموا اودهم واحسنوا ادبهم فان في ذلك صلاح العامة

—(حكم عربية)—

ادمان النظر أحد الفسقين ·

اذا جلست في مجلس ولم تكن المحدِث ولا المحدَّث فقم

ليس من شروط الحليم ان لا يضجر ، لكن أن يضجر بوزن

اذا اردت ان تعلم خطأ معلمك فجالس غيره

كن عالماً أو متعلماً ·

اذا هدأ غضبك فتكلم ·

النفس الاخير

***

أيها المطروح دون حراك ، أيها المذبوح دون عراك
انت في قيد الحياة تراك ، ام تراهم بعدما شنقوا
ذبحوك ؟

في دماك الجسم قد سبحا تحت فيك الحبل ما برحا
عن محياك النزاع محا اسطراً لو انهم قرأوا
رحموك

عشت والآلام منذ صباك بين اشراك وبين شباك
ألعل البوس كان اباك ؟ وطني ! أواه يا وطني
قتلوك

هل غدت فيك الديار قفار ؟ والروابي غصن تحت بحار ؟
والسما انقضت عليك بنار ؟ وطني ابكي عليك فقد
خذلوك

لا · فقد طال البكا عبثاً   لك من ضحك العداة رثا
غرسوا فيك الربى جثثا   وبنوك الخائنون لهم
بذلوك

لست ابكي بعد من غضبي ،   من جنوني ، من لظى كربي
فلتمت ! وليقض كل غبي !   وليعش قوم بحكمتهم
حكموك

مت قتيل الضعف ياوطني ،   مت شهيد الجبن والخون
واذا ما شئت تلعنني   فألوف من بنيك لقد
لعنوك

هاك ايدينا لنمش سوا   ولنسر للقبر حيث ثوى
كل شعب ذل ثم هوى   بعد ان قضى الحياة سدى
بشكوك

ولنمت كالبهم لا الاسد   ولندع للشيخ والولد
عبرة تبقى الى الابد   سطرتها البيض من دمنا
بصكوك

يا شعوب الارض ، يا امم ،   خبروا الاجيال بعد كم
ان قومي ويحهم لهم   خدم والترك انهم
لملوك

« امين مشرق »



الخمار الاسود

— حكاية من حوادث سوريا الحديثة —

* * * * *

هبط الصباح على الارض هبوطاً بديعاً : ولكن اهل الارض لم يستقبلوه بالترحاب ولا بهتاف النصر ·

منذ ساعة كانت المعركة الفاصلة بين كتائب الغياهب وجنود السحر ، فحدثت مجزرة هائلة لا صوت لها ولا ضجة ، لم يهتم لها احد من البشر ولم تنقل الاسلاك البرقية خلاصة انبائها · ومن يهتم بالمعارك التي تحدث في الطبيعة في هذه الايام العصيبة ? من يهتم بالملاحم التي تجري في الاثير بين النجوم فتحترق منها اكوان بأسرها وتسقط بقاياها شهباً الى سمائنا الدنيا ? تلك الحشرات الحقيرة ذوات الرجلين المدعوة بشراً ما اهتمت قط بما يحدث فوق قشرة هذه الكرة الصغيرة التي تسمى الارض ، ولم تبال بما فوق أمد نظرها القصير ·

كذا جرى في هذا الصباح : استيقظ الناس بعد المعركة بين النور والظلام

وتركوا اقفاصهم ساعين الى عملهم الدنيوي غير مبتهجين بجمال يوم بديع غمرهم بانواره الدافئة الربيعية · فقد كان كلٌ يسير مطرقاً لا يجسر على التأمل في ما حواليه ، مفكراً بالحرب التي جرت الجوع وبالشدة التي جعلت حياة اهل سوريا شبه موت ·

سار الناس في الشوارع وكلٌ يفكر في شأنٍ من شوءونه حاصراً عقله الضيق في دائرة صغيرة لا تتجاوز ثلاثة اذرع فوق سطح الارض ، بينا كان الظلام المدحور يئن من جراحه البليغة ويحشرج لافظاً آخر انفاسه في عالم بعيد وراء النجوم ·

وانوار الصباح كذلك سارت ، ولكن على غير ما سار عليه الناس · مرّت في موكب انتصارها تتدفق فوق بردى ومجاريه وترفع ألويتها فوق جنان الغيضة والهضاب المحيطة بدمشق · فطلعت في اثرها الشمس مليكة النور تسير في آخر الموكب فضجت لها الطبيعة جذلاً وفتحت احضانها لتتمتع بعناق لذيذ وهّاج · وارسلت الشمس الوف الوف الاشعة لتطرد بقايا الظلام من نخاريب الدساكر وزوايا الشوارع القاتمة ، ولكنها لم تستطع ان تطرد الظلمة من قلوب البشر · فتألقت قباب الجامع الاموي وانتشرت عليها رايات النور الزاهرة ، وتألقت مثلها النوافذ الزجاجية في القصر الشاهق القائم قرب ساحة المرجة – قصر آل الزاهر الكرام ·

لم تستيقظ فاطمة الزهراء ذلك الصباح باكراً كعادتها وتقف في شرفة قصرها لتراقب معركة الفجر فتطير بأفكارها اللطيفة الى ما بين كتائب الاثير

المتطاحنة فتوصل كآبة شكواها – شكوى شعبها الى العرش · ذلك لانها كانت لا تزال في فراشها تستريح على اثر حفلة شائقة اقامتها في قصرها للقائد جمال · حفلة كانت زينة الحفلات · حضرها اعيان البلد وزعماء الجندية مع رئيسهم الاكبر فظلوا هنالك حتى قبيل الفجر : حفلة ضمت من العنصر التركي امثلة القسوة والاستبداد والغطرسة ، ومن العنصر العربي خيرة الشبان المفكرين والرجال العاملين وابناء الاسر · منهم من جاء لحرق البخور ، ومنهم من حضر ليكسب ولاء الاتراك ويخطب ودهم ، ومنهم من جاء وهو يضمر امراً تمخضت به العقول العربية المفكرة منذ سنين ودنا أوان نتاجه · من هوءلاء الاخيرين كانت ربة المنزل فاطمة الزهراء زوجة امير الالاي علي بك الزاهر الذي كان غائباً في بيروت لمهمة عسكرية أوفده رئيسه لقضائها

ولم تكن تلك الحفلة بالفريدة في بابها أو الاولى من نوعها في ذلك القصر · فان جمال منذ حلت ركابه في دمشق أظهر ميلاً الى آله وخصهم بكل ألطافه الظاهرة حتى كاد أن يشرفهم كل ليلة بحضوره العشاء بالرغم من كره خفي كانت تشعر به ربة البيت فاطمة التي لقبها ذووها بالزهراء لجمالها الباهر ، وللتيمن بلقب بنت الرسول ، ولتوارد غريب في اسمها واسم زوجها ، حتى شاع في دمشق ان كلمة من فاطمة الزهراء تقولها للقائد جمال كافية لتغيير نظام تركيا ·

بينا كانت فاطمة مستغرقة في احلامها لا تدري بما خبأه القدر لها ولشعبها قرعت الخادمة الباب فايقظتها واخبرتها بقدوم اخيها طاهر بك ·

ودخل طاهر على الاثر غير منتظر اذناً فحيى اخته وهي لا تزال في سريرها تتثاءب وتتمطى وطارحها الحديث عن مجرى الحفلة التي لم يحضرها البارحة حتى اذا خرجت الخادمة غيَّر حديثه على الفور ودنا من اخته وقال لها بصوت خافت

— معي رسالة من الفرع في بيروت اتى بها ساعٍ خاص فوصل الى منزلي منذ هنيهة وهو يكاد يهلك تعباً · ويلوح لي ان بها امراً خطيراً · فهيي وساعديني على حل رموزها ·

هبت فاطمة كأن مجرى كهربائياً لامس فؤادها عند هذا النبأ · فالتفت برداء رقيق من الحرير وتناولت الرسالة واجالت نظرها فيها بينا كان اخوها يُخرج من خزانة سرية في الحائط زجاجتين فيهما بعض السوائل· فاذا في الرسالة ما يأتي :

« جناب حضرة كريم الشيم سني الهمم الخواجا منصور توما المحترم

بعد سوءال شريف خاطركم والسوءال عن صحة سلامتكم نعرض لجنابكم ان ارساليتكم مائتين صاية من الديما قد وصلتنا نهار البارحة واستلمنا قايمتكم بالبوسطة · وبعد الفحص وجدنا ان البضاعة لم مثل ما عودتونا من الجودة وفيها خفة بالوزن والسعر كذلك الامر غالي وان شاء الله عما قريب نرسل لكم القيمة بعد خصم الفرق · وان تيسر لكم شروه رخيصه خبرونا حالاً حالاً لان الطلب على البضاعه الرخيصه كثير · من هنا الجميع يسألون خاطركم وشرفونا بما يلزم ودمتم ·

للداعي جبور عيسى »

اعتادت فاطمة قراءة امثال هذه الرسائل السخيفة التي تغطي بها فروع الجمعية السرية اخبارها الهامة · وكم قرأت مثلها حين كانت تساعد اخاها وزوجها على حل رموزها ، ولكنها الان لم تتمالك من الضحك — ولم تكن تضحك كثيراً في هذه الايام ، ايام نكبة وطنها — وقالت :

— يظهر ان صاحبنا بارع باللهجة التجارية ولكن مالنا ولذلك · عجل يا طاهر ·

اما اخوها فلم يجب بكلمة بل صب قليلاً من السائل على الرسالة وتركها هنيهة على الطاولة فاخذت الحروف تضمحل رويداً رويداً حتى غابت الكلمات كلها · ثم صب عليها قليلاً من سائل آخر فاذا بأسطر جديدة من الكلمات والارقام قد شرعت بالظهور مكانها حتى اكتملت · فنشف طاهر الورقة وتناول من جيبه قلماً من الرصاص وشرع يقرأ لاخته كل حرف ورقم بمفرده فتراجعه هي بدورها متأنية في جدول امامها حتى تصل الى الحرف المطلوب فتلفظه لاخيها فيخطه امامه على ورقة أخرى ·

وبعد نصف ساعة انتهيا من هذا العمل الصعب · فرتب طاهر الحروف التي تجمعت لديه صفوفاً افقية في كل صف خمسة احرف وأخذ يقرأها باهتمام · على انه لم يكد يأتي عليها حتى انقبضت ملامحه وارتجفت يداه قليلاً وتراجع مرتبكاً · فلمحت فاطمة ما طرأ عليه من التغير الفجائي فتناولت الورقة من يده وقرأتها فاذا بها ما يأتي :

« الى الاخ ط . ج . — الجمعية في خطر احرقوا كل أثر . ألقي القبض عَلَى الزاهر وسيق الى دمشق سراً للمحاكمة . تدبروا واتخذوا الاحتياطات اللازمة لئلا تصدر اعترافات مضرة تحت الاستنطاق . نحن تحت المراقبة .

كاتم اسرار الفرع »

الصدمة الشديدة قد تبكم اللسان . واذا طما سيل الاحزان فقد يجرف معه الظواهر الخارجية ويجفف الدموع . ذلك ما حلَّ بفاطمة الزهراء عندما أجالت عينيها مراراً في احرف الرسالة وقد غشي عَلَى بصرها فلم تعد ترى . جلست صامتة وارسلت طرفها التائه يخترق الحيطان والمسافات الى فضاء بعيد في غير هذه الدنيا حيث رفع القدر الصارم يده الشديدة ليحطم آمالها وآمال زوجها وآمال امتها وتهيأ ليدوس برجله الحديدية قلوباً كانت مفعمة باماني الهناء والحرية . اوّاه ! كم بكت عَلَى حال الامة العربية أمتها منذ تفتح قلبها للمعرفة واتاح لها الحظ ان تدرس وتطالع وتعرف عدا ما تعرفه اخواته المسلمات . وكم تعطشت الى مساعدة رجال امتها في خلع نير الاتراك . وكم حاولت ايقاظ نفوسهم النائمة بكلمات التأنيب القاسية ! هي هي التي أيقظت الروح الوطنية في قلبي زوجها وأخيها ، فسعيا مع غيرهم من الاحرار لتأليف تلك الجمعية السرية التي علّقت عليها الامال في تحرير البلاد . وهي هي التي كانت تبث فيهما روح النشاط وتوحي اليهما بالخطط اللازمة . والان قد سقطت كل آمالها وانهدم بناء سعادتها الشخصية . فالجمعية في خطر وزوجها في قبضة جمال القاسي ولا مفرَّ له — ذلك الزوج الحبيب

اللطيف الذي احبته بالرغم من ضعفه بعد أن زوَّجها به اهلوها لا مراعاةً لحبٍ متبادل بل لعادات جروا عليها في تزويج ابناء الاسر العالية ببنات الاسر الشريفة . أحبته لإنه كان شريف العواطف كريم الاخلاق مثلما كان كريم المحتد — لانه لم يشاطر حبه سواها — ولانه واياها كانا كروح واحدة في جسم واحد : يفكران سوية ويعملان سوية لغاية واحدة سامية . ولكن هذا الزوج الكريم الدمث الاخلاق كان ذا علة واحدة هي ضعف الارادة ...

كم حاولت ان تشفي فيه هذه العلة ليصير بطلاً من الابطال ، وكم أملت ان يغير انخراطه في سلك الجمعية ما في نفسه من الضعف ، اذ يقتدي برفاقه المجاهدين فيها وكلهم من أعلى الناس همةً وامضاهم عزيمة ... وها لما اوشك الحين الذي صحَّ لها المفاخرة بزوجها هبطت عليه النازلات ووقع في يد جلاّدٍ لا يرق ولا يرحم ... ويلاه ! ماذا يحل بالباقين اذا أقرَّ زوجها باسمائهم في ساعة ضعف عند الاستنطاق والتعذيب . رجال المستقبل — زعماء الامة العربية كلهم يُضحون قبل ان يأتوا بفائدة تستحق الاستشهاد وزوجها ... زوجها يُقتل امام عينيها . ومن القاتل ؟ ... القائد جمال — ذلك الطاغية — ذلك الشيطان الرجيم الذي غدر بها وطعنها طعنة نجلاء بينا كان يشرب ويأكل عَلَى مائدتها — القائد جمال الذي لم يذخر وسعاً لاكتساب رضاها والذي تكفيه كلمة منها او ابتسامة لاطلاق سراح زوجها وانقاذ رفاقه . ولكنها تبغضه ... تحتقره كأخس العبيد ...

تاهت فاطمة في دياميس هواجسها فلم تشعر بحركات اخيها وخروجه

مسرعاً من الغرفة · ولم تنتبه الا عندما عاد ثانية بعد دقائق وقال

— لقد اعدمت كل الاوراق فلم يبقَ من أثر · انما الامر على غاية الحراجة · · · ·

فرفعت نظرها اليه كأنها تصعد الى سطح الارض من هاوية عميقة · فاقترب طاهر منها ووضع يده على كتفها وقال

— فاطمة ! لا ينبغي ان تستسلمي لليأس فهذا وقت العمل · لا يجب ان نتكل على الله فقط بل أن نتكل على انفسنا ايضاً · فأنت أنة عميقة ولم تقل شيئاً ·

— أختي ! انتِ تعرفين ضعف علي · فعلينا ان نشجعه ونحمله على الثبات لئلا يفشي شيئاً من اسرارنا · واذا اقتضى الامر ان يموت فليمت شريفاً !

ثم دنا منها وعانقها والدموع تجري على خديها وودعها قائلاً

— لا استطيع البقاء فانا ذاهب لانذار الباقين · علمت لما خرجت منذ هنيهة ان علي وصل الى دمشق مخفوراً · · · · فلا تنسي واجباً عليكِ اتمامه · اذكري بلادك ! اذكري شعبك !

· · · · ·

— زوجة علي بك الزاهر ترجو مقابلة سعادتكم ·

قال هذا حاجب القائد جمال لمولاه بعد أن أدى التحية العسكرية ثم وقف بالانتظار ·

فرفع جمال باشا نظره من الاوراق التي كان يقلبها وهي تقارير جواسيسه

عن الحركة العربية السرية وطفحت على وجهه ابتسامة ذات معانٍ — ابتسامة من شعر بقدرته فتكبر وتجبر · كيف لا يبتسم وقد جاءته هذه الحسناء المتعجرفة التي عجز عن استمالتها · جاءت ذليلة صغيرة تطرح نفسها تحت اقدامه · وانه ليفعل الان بها ما يشاء · تصوَّر نفسه يقول لها : — « ويحك ! انا جمال ذو السلطة المطلقة · حتى الان لم يمتنع عليَّ ما اريد اخذه الاكِ · وها اني سابلغ منكِ الارب · فلست بأفضل من جواري العرب اللواتي يتنعم بهن جنودي · واذا كنت اعتصمت بزوجك فهو الان في ظلمات السجون وسأبعث به الى ديار المنون لتبقي لي وحدي · سأبعث به وبرفاقه الذين تجاسروا على الائتمار بي قصد اهلاكي وتأسيس مملكة عربية على انقاض تركيا · »

واهتزَّ القائد جمال هنا لا طرباً بل حنقاً على العرب الذين تجاسروا على الافتكار بالتخلص من نير الاتراك · ويح هذه الدنيا ! ماذا حدث بها من العجائب حتى افاق العرب من غفلتهم · ثم قال لحاجبه :

— ادخلها واخرج واتركنا وحدنا ·

دخلت فاطمة الزهراء بقدم ثابتة ونفس مضطربة وعلى وجهها قناع اسود صفيق · فاستقبلها جمال ببشاشة وترحاب واجلسها بجانبه بعد ان قبَّل يدها على النسق الافرنجي ثم قال :

— ان تشريفك غير منتظر يا سيدتي · فما الذي حدا بك على التنازل لزيارتي · عسى ان يكون في الامر خير ·

فملكت فاطمة روعها و كبحت من جماح نفسها وقالت :

– اتيتك في أمر زوجي فقد بلغني انكم ألقيتم عليه القبض بلا سبب٠

– ان زوجك ، يا خانم ، قد خان بلاده

– عفواً ايها القائد فزوجي لم يخن قط بلاده ٠ وقد قبضتم عليه ظلماً٠ وارجو منك ان ترحمني وتعفو عنه ٠

فابتسم جمال وقال مشيراً بيده الى الاوراق امامه :

– هنا ما يثبت عليه الجرم ويقوده الى الموت رمياً بالرصاص ٠ وانت تعلمين يا سيدتي صرامة الحكم العسكري ٠ وانه لاشد صرامة من عيون الحسان القاسيات مثيلاتك ٠

– ألا تعفو عن متهم ليس له ذنب الا حسد اخوانه ووشايتهم ٠ ألا تذكر اخلاصنا لك ايها القائد ؟

– أذكر ٠ أذكر مع الامتنان ٠ ولكن الدسيسة كبيرة تتعلق بخيانة الامة العربية جمعاء ٠

فقاطعته فاطمة قائلة :

– ان الله يأمر بالعدل والرفق ٠ فرفقاً ايها القائد بأمة عهد اليك أمرها

– السيف ارفق ما عندي

وجمت فاطمة وقد عرتها دهشة عميقة لدى سماعها كلمات القائد الاخيرة ٠ ماذا تقول له بعد هذا التصريح ؟ خانتها الذاكرة فنسيت كل ما كانت اعدته من اساليب الكلام قبل ان تدخل ٠ وارتبكت لانها ادركت

انها لن تستطيع تليين قلب هذا المتغطرس وقد حزرت ما يكنه فؤاده الدنيء فهمّت بالنهوض وقد اظلمت الدنيا في عينيها

فاوقفها جمال وقال :

– اجلسي يا سيدتي ٠ واكشفي النقاب عن وجهك ليحلو لي ان اكلمك عَلَى انفراد ٠ فان لديّ كلاماً يهمك اود ان اخاطبك به وجهاً لوجه

فجلست فاطمة وقد لاح لها بارق أمل ٠ وازاحت نقابها غير مبالية فظهر تحته وجهها أصفر شاحباً من الحزن وقد جعل الهم عينيها أعمق مما كانتا واشد تأثيراً فلذّ لجمال رؤيتها فبدأ يكلمها وكان كلامه طويلاً ملآن بالمجاملات والالغاز ٠ وجلست فاطمة تصغي صامتة الى كلام القائد المتغطرس وقد كادت ان تفقد شعورها ٠ سمعت الطاغية التركي يروي لها باسهاب خبر المؤامرة التي اشترك فيها زوجها وهي في حالة قريبة من الذهول ٠ واخترقت كلمات اتهامه القاسية قلبها قبل اذنيها ٠ ثم لم تعد تسمع شيئاً وقد انتشلتها الافكار من محيطها وزجتها اولاً في هوّة اليأس ثم في جهنم العذاب تخدرت منه حواسها فاضحت كالصنم لا يشعر ولا ينطق فلم تعِ شيئاً لما أخذ جمال يقوله لها من كلمات التصابي والتحبب التي آلت به الى مطارحة الغرام واظهار ما اكتمن من جواه وشهواته الفاسدة٠ ولما انتبه القائد الى ذهولها سكت واجماً ناقماً ٠ فايقظها سكوته من غفلتها الروحية فهبت ناهضة تروم الانصراف ٠

فتبعها جمال مبالغاً في التلطف ٠ ولما وصلت الى الباب قال لها مودعاً

— اني اشفق لحالتك يا سيدتي ، وقد عرضت عليك ان تكوني مليكة امري فافعل ما تشائين فلم تقولي كلمة اعلم منها رفضك او رضاك · وقصارى ما أقوله لك ان زوجك سيحكم عليه بالاعدام غداً · فاذا رمت انقاذه فالامر منوط بك · سأرسل اوتومبيلي الى منزلك هذه الليلة · فمتى عدت من عندي يسلمك حاجبي بعد ان يوصلك الى المنزل غلافاً فيه الامر بالعفو عن زوجك · مع السلامة ·

· · · · ·

— اذكري بلادك ! اذكري امتك !

هذا ما جال في خاطر فاطمة الزهراء بعد ان عادت الى منزلها من عند القائد جمال في حالة من الحنق والاشمئزاز لكلماته السافلة التي ودعها بها ذلك الوحش التركي ·

فاطمة الزهراء ابنة شرفاء قحطان تسلم نفسها لعدو امتها ليمتهنها · لا لا · معاذ الله !

ولكن كلمات أخيها « اذكري بلادك · اذكري امتك » ما برحت ترن في اذنيها وتقف في طريق افكارها وتواجهها كيفما التفتت

ما العمل ؟ الموت أفضل مما هي فيه · الموت يأخذها شريفة شامخة الرأس ولا يمتهنها امتهان الطاغية التركي · ولكن ماذا يحل بعلي بعد موتها ، وبرفاق علي ، وبامانيهم الوطنية ؟

هنا تمثلت لها ساحة المرجة وقد نصبت فيها المشانق · ومنها تتدلى جثث

نيف ومائة رجل من خيرة رجال العرب وقد تشنجت جسومهم وبرزت عيونهم من مآقيها وتدلت ألسنتهم الزرقاء من افواههم وخيل لها ان فوق رأس كل منهم لوحة مكتوب عليها باحرف نارية

« نحن شهداء العرب · كان بامكان فاطمة الزهراء ان تنقذنا فلم تفعل فعليها لعنة الله · »

وتراءت لها ايضاً البلاد العربية بأسرها من الجزيرة شمالاً الى تهامة جنوباً ، ومن العراق شرقاً الى البحر المتوسط غرباً ورأت فوق معالمها لواءً يخفق · فتأملته فاذا به لواء اتحاد العرب الجديد الذي فكرت كثيراً باستنباطه · وفي ظله يرتع العرب الاشاوس وقد نبذوا نير المغتصبين واعادوا امجاداً قديمة استهلك في سبيلها قديماً قوادهم العظام خالد بن الوليد وابو عبيدة بن الجراح وعمرو ابن العاص وسعد ابن ابي وقاص وقيتبة بن مسلم وموسى ابن نصير وغيرهم · فخفق قلبها سروراً ، ولكنها ما لبثت ان اعتراها الوجل اذ تراءى لها ان ما شاهدته لم يكن حقيقة ، بل الحقيقة الثابتة ان العلم التركي لا يزال يخفق فوق البلاد مظللاً اياها بالويلات · وفي احقاف اليمن وصحارى الحجاز اعراب حفاة عراة يدافعون الاتراك عن حريتهم قانعين من الحياة بهواء الحرية ولسان حالهم يقول

— « على من لم ترد انقاذنا لعنة الله · »

واتصل بها من ظلمات الرموس اصوات تلعنها من الشرق والغرب — اصوات القواد العظام تنادي وقد اضطربت رفاتهم في قبورهم

— « وعلينا لعنة الله ٠»

وسمعت من حولها أنـّات الجائعين والمنكوبين في بلاد الشام الرازحين تحت سنابك خيل الاتراك ولا أمل لهم بالاخلاص تهتف مع الموتى :

— « وعلينا لعنة الله ! ٠»

فلم تستطع فاطمة احتمال اكثر مما احتملته ! فوضعت يديها على اذنيها تصد عنهما الاصوات الوهمية ٠ وطفقت تجول في الغرفة كالمجنونة وتلوح بيديها كأنها تطرد عنها اشباحاً يهاجمونها ٠ ثم ألقت بنفسها على الديوان وحولت وجهها الى الاسفل وبكت بكاءً مراً بلل قماش المقعد ٠ وكأن الدموع سكنت شيئاً من ثائرها فرفعت رأسها وعيناها يترقرق فيهما الدمع كنرجستين أذبلهما الندى ونظرت الى ما أمامها نظرات باهتة فعلق بصرها بصورة في الجدار — صورة ابرهيم الخليل وقد مدّد ولده اسحق للذبح ، ويدٌ من السماء تقدم اليه كبشاً ليضحيه ويفتدي به ابنه ٠ تلك صورة اهدتها اليها راهبة علمتها الافرنسية في صغرها فعلقتها في مقصورتها الخاصة على غير عادة المتفقهين من اهل دينها الذين يحظرون الصور ٠ فجمد بصرها على الصورة كأنه سُمر اليها ٠ لا شك ان الله رحيم رؤوف ٠ فقد افتدى اسحق بكبش عندما كاد نصل السكين يخترق عنقه ٠ ولا شك ان الله اراد الان ان يظهر معجزات آياته فوجه بصرها الى الصورة ٠ أجل ، ولا بدّ من كبش يفتدي الامة العربية جمعاء ويفتدي علي بك الزاهر ورفاقه ٠ وستكون فاطمة ذلك الكبش ٠ ستضحي عرضها وشرفها في سبيل بلادها ثم تبذل آخر ما عندها — اي حياتها ٠

التضحية ! دوت في عقلها هذه الكلمة مقرونة بكلمات اخيها — « اذكري بلادك ٠ اذكري امتك ! » وما اشرف التضحية ٠ بالتضحية تلد الانثى اولاداً لابقاء النسل البشري ٠ بالتضحية يتم كل شيء ٠ ولا سبيل لقوام الدنيا بلا تضحية ٠ فستضحي فاطمة نفسها كذلك الطائر الذي يشق بمنقاره قلبه ويطعم اولاده من فلذة كبده اذا لم يجد شيئاً يطعمهم ٠ ستنقذ البطلة فاطمة الامة العربية ٠ ستذل البطلة للقائد جمال كما ذلت يهوديت لاليفانا ، ولكنها بذلها هذا سترفع راية العرب الجديدة ٠

ما أرخص الثمن : جسد فاطمة الفاني ثمن تاريخ مجيد في المستقبل للعرب ! قبلات جمال ثمن انقاذ ابناء قحطان من الهلاك ٠ آه ما اسعدني ! رباه قد انتخبتني من بين عبادك اجمعين لانقاذ الوطن فشكراً لك ! وعلمتني ان الاعمال بالنيات ، فاقبلني كبشاً لافتداء اسحق هذا العصر ٠ تعال يا جمال واشحذ سكينك ٠ تعال يا حبيبي جمال فانا لك ! قد خط القدر قضاءه بذلك منذ الازل ٠ سأذهب هذه الليلة اليك واشتري تاريخ شعبي ساعات لذتك ٠ سأزين نفسي لاجلك ٠ سألبس أنفس الحلل ليكون جمالي زاهراً باهراً يسكرك ويصعقك فتطفى نارك بجليد حبي ٠

ثم صفقت بيديها تستدعي الخادمة لتساعدها في امور زينتها ريثما تحضر سيارة جمال باشا ٠

٠ ٠ ٠ ٠ ٠

اذا كانت جهنم الآخرة حسبما وصفها المفسرون مملوءة ناراً وكبريتاً وزقوماً وابالسة فهي ليست بأشد مما كانت فيه فاطمة الزهراء عَلَى اثر عودتها من منزل القائد جمال ·

ذهب الليل بويلاته واسراره · ودخل الفجر مرسلاً اشعته الناعمة لمداعبة القلوب الكسيرة ، ولكن انواره وحرارته لم توءثر شيئاً في قلب فاطمة التي كانت مستلقية عَلَى الديوان مفتحة العينين ، نائمة القلب ، مائتة النفس لقد امتهنها جمال باشا ونال بغيته منها وهي استسلمت له صاغرة مضحية نفسها ونصب عينيها قصدها الشريف · ولكن ماذا كان ثمن التضحية ؟ سلمها الحاجب الرسالة التي ظنت فيها حرية زوجها وقومها وامتها · فدخلت مقصورتها بهيئة المنتصرة رغم مذلتها وفتحت الرسالة فاذا فيها

الى حرم المتهم علي بك الزاهر

لقد تبين لنا ان لزوجك شركاء كثاراً في خيانة الدولة · فبناء عَلَى استرحامك ايانا بشأن اطلاق سراحه لقد أذنّا لك بزيارته في السجن واقناعه بالاقرار عن شركائه لكي يصدر الامر بالعفو عنه · والا نفذ فيه حكم الاعدام غداً صباحاً ·

« جمال »

زلزلت الارض زلزالها تحت قدمي البطلة المدحورة · واطبقت الافلاك فوقها وتدحرجت الكواكب وقصفت الرعود وتدهورت الدنيا والعواطف والشرف جارفة معها فاطمة الزهراء وآمال شعبها الى هوة الهلاك — الى اسفل السافلين ·

لم يُغم عَلَى فاطمة · ولم تجرِ دموعها لان اليأس كان اعظم من ان يترك لها مجالاً لتفعل ذلك · ظلت كل ذلك النهار جالسة في حالة ذهول دون ان تأتي أمراً · ولما انتشرت غباشير الظلمة دخل قليل من النور الى روحها وأحست ان لها قدرة عَلَى التفكير بحالتها · فقالت في نفسها

لقد مشيت عَلَى شفير السراط فزلت قدمي فسقطت في الهوة · هلكت وسيهلك زوجي ، ولكن يجب ان لا يهلك كل قومي · سأذكر وطني وشعبي حتى النهاية ·

ثم هبت قائمة وائتزرت بازارها وتنقبت بخمارها الكثيف وذهبت وحدها الى السجن طالبة مقابلة زوجها متسلحة باذن القائد جمال وقد عوّلت عَلَى أمرٍ هائل ·

هنالك وجدت علي بك في حالة يأس شبيهة بحالها · فلما رآها هجم عليها ليعانقها والدموع ملء عينيه كالطفل حين تعود اليه امه بعد فراق قليل · فتجلدت وابعدته عنها برفق وتكلفت الابتسام والسرور وقالت له ودموع قلبها تهطل في جوانحها

— ستقبلني غداً حين ننجو ايها الحبيب ·

ثم جلست تطايبه وتسر اليه بشرى عفو القائد جمال عنه وزادت عَلَى ذلك :

— لقد تعبت كثيراً في اقناع صديقنا جمال بالعفو عنك وقد حلف لي أغلظ الايمان ان الامر بالقاء القبض عليك وعَلَى رفاقك لم يصدر منه

وانما ورد رأساً من الاستانة عَلَى اثر وشاية احد الخونة · ولذلك لا سبيل لاطلاق سراحك علناً لئلا يحنق اولو الامر في العاصمة · ففي هذه الليلة تساق الى المحاكمة العرفية ويحكم عليك بالموت بعد الاستنطاق وتقاد الى ساحة المرجة لينفذ فيك الحكم عَلَى عيون الناس · وسيطلق الجنود بنادقهم عليك فلا ترتع فان كل ما سيجري متفق عليه ولا رصاص في بنادق الجنود نيوءذيك · فاذا سمعت اطلاق الرصاص فألقِ بنفسك عَلَى الارض وتظاهر بالموت فيأتون بك اليّ ونغادر البلدة سراً الى حيث لا يرانا احد · كل ما يجري عليك سيكون من قبيل التمثيل المقصود به ايهام خصوم جمال في الديوان العرفي فحاذر ان تصدر منك بادرة امامهم بحق رفاقك عند الاستنطاق والان الى اللقآء غداً ·

فاضطرب علي بك فرحاً وخشية · ولم يتمالك ان قال لزوجته

— ولكن ، ألا يعدل جمال باشا عن رأيه · فقد يمكن أن يغير فكره اثناء الليل القادم ·

— لا · لن يعدل · عَلَى اني ساطلعك عَلَى كل ما قد يجد ليطمئن قلبك · والعلامة بيننا هي هذه : سيمرون بك غداً عند الفجر تحت شرفة قصرنا فارفع بصرك ترني هنالك فاذا رأيت عَلَى رأسي خماراً اسود فاعلم ان جمال نكث عهده واذا كان الخمار ابيض فكن واثقاً ان العهد الذي بيني وبين جمال لا يزال ثابتاً فيطمئن قلبك ·

وخرجت فاطمة من عند زوجها بعد دقائق وقلبها يتفطر اسى · ولكنها

رغم يأسها وحزنها شعرت براحة لانها أمنت بما لقفته لزوجها من حديث العفو من ان يدفعه ضعفه الى الاقرار برفاقه · سيموت علي ولكن ستحيى الامة العربية ·

· · · · ·

اكتظت ساحة المرجة بالشعب صباحاً · ولم يجتمع هذا الشعب الغفير ليجاهر بطلب حرية او لينفذ مجموعه امراً ، بل ليرى بعينه هضمان حقوقه — ليشاهد اعدام الاميرالاي علي بك الزاهر خائن الدولة الذي حكم عليه المجلس العرفي ليلاً بالموت رمياً بالرصاص لمخابرته شريف مكة وامراء العرب بامر اعلان الثورة للتخلص من النير التركي

ها قد دقت الطبول وعزفت الابواق العسكرية · فاتلع الشعب اعناقهم لئلا يفوتهم شيء من مشهد جاءوا ليمتعوا ابصارهم بروءيته

بين ثلة من الجنود سار الاميرالاي علي بك باسم الثغر رابط الجأش فاستدعى ذلك إعجاب الناظرين بهذا البطل السائر الى الموت باسماً بقلب غير هياب ·

سار علي بقدم ثابتة ضاحكاً في قلبه من هذه المظاهرات حتى اذا حاذى شرفة قصره رفع رأسه فرأى امرأته واقفة في الشرفة وخمارها الابيض يخفق عَلَى رأسها فحياها باسماً ومشى الى محل الاعدام · ولما دنا منه الضابط ليربط عينيه بمنديل رفض ذلك ورنا الى البنادق المصوَّبة نحوه نظرة استهزاء · فسرى في الشعب المتفرج همس الاعجاب برباطة جأش هذا البطل الذي

لم يجزع للموت ·

رفع الضابط سيفه ولفظ كلمة الامر فخرجت من فوهات البنادق اثنتا عشرة رصاصة اخترقت جثة علي بك فسقط الى الارض كالسنبلة المحصودة سقوطاً لا قيام بعده ·

وعلى اثر سقوطه ازاحت فاطمة خمارها الابيض فاذا تحته خمار اسود · ودوت طلقة نارية في شرفة قصر آل الزاهر لم ينتبه لها القوم كثيراً · ولما هرع خدم القصر الى مكان الصوت وجدوا سيدتهم جثة بلا حراك

— من اقوال بيلنسكي —

(النقادة الروسي الشهير · توفي سنة ١٨٤٨)

لا اعتبر الانسان ، بل مبدأ الانسان ·

ان الخلاعة والكسل لنتيجة تجمد النفس والجسد ·

كل ذي نفس شريفة يتألم · وليس الا العجماوات تظل ناعمة البال ·

اذا مرضت فتلك مصيبة ، واذا مت فالمصيبة اسوأ · ولكنما المصيبة العظمى هي ان تموت وانت موقن انه لن يبقى على الارض بعدك من أثر

رب خصام يكون ضرورياً كما تكون العاصفة ضرورية لتنقية الجو والهواء

المال! شمس المعيشة · لولاه لظلت الحياة قائمة كالحة باردة

الصبابة

بات غيري على فراش الاماني   وانا في مهامه اليأس بت

. . . . .

رقد الناس في الدجى آمنينا   وانا ساهر اعاند وجدي
هم بالوصل والسما يحلمونا   وانا في الجحيم أيأس وحدي
أترى الله مثلهم قد براني   ام تراني من الجحيم ولدت

. . . . .

منذ ادري لم أدر الا عبوسا   في جبيني ،في مهجتي ، في حياتي
قد خطبت الاحزان منك عروسا   يازماني، فهات ما شئت،هات
لي بعرسي نحيب نفسي الاغاني   والتهاني الرثا الذي لي نظمت

. . . . .

زعم الناس ما السعادة الا   للمحبين · آه ، ضلوا وتاهوا
انما الحب يقتل الصب قتلاً   انا لم اعرف الشقا لولاه
صرت كالخيط ، كالهوا ، كالهوان   ويح نفسي ! يا ويحها كيف صرت

. . . . .

ويك وجهي! هل انت وجهي حقاً ؟   ام ترى انت وجه ميت بال ؟
ويك عيني ! هل انت تزهين عشقا ؟   ام ترى انت حفرة في الرمال ؟

ويك جسمي ! أمسيت هزء الغواني وانا العاشق الذي ما رُفضت

. . . . . .

كل يوم بي منك حب جديد يا فؤادي ، وكل يوم حبيبُ
هل ترى انت في القلوب فريد ؟ ام ترى لي سواك في القلوب ؟
آه لو كنت ظاهراً للعيان ما احتملت الوجد الذي قد حملتُ

. . . . .

طلع البدر في السما وبقلبي طلع الحب يملأ الليل نورا
غمر الارض بالشعاع وحبي غمر الارض والفضا والدهورا
عجباً ! ابتغي عناق الكيان وانا دودة به قد سرحت

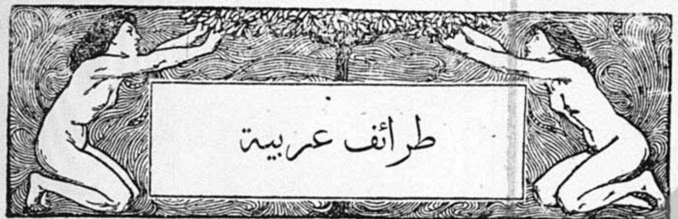
. . . . .

ايها الساكن السماء ، اجبني لمَ خلقت الانسان عبداً وربّا ؟
عاجزاً لا ينال غير التمني ويروم السماء وجداً وحبّا ؟
انت حول قلبي الى صوان انا لولاه ما شقيت وخبتُ

. . . . .

ياسكون الدجى ، وهمس الليالي ، ياشعاع الهلال ، فوق البحار
يا غيوم المسا ، وريح الشمال ، يا نواح الحمام والاوتار
انا ان مت فانشروا احزاني انني من صبابة الحب متّ

« امين مشرق »



﴿ مقتطفة من كتب العرب القديمة ﴾

آدم والشجر

لما عصى آدم الله لوسوسة الشيطان طار التاج عن رأسه والحلل عن جسمه فبقي عرياناً يدور في الجنة حيراناً وهو يلتجيء من شجرة الى شجرة ويطلب من اوراقها لباساً ليستر عورته · فاتى الى شجرة الحنطة وقال — أيتها الشجرة ، اعطني من اوراقك ، فاني بسببك صرت عرياناً مكشوف العورة ، فاجابت الشجرة وقالت — لو كان لي أوراق وكسوة لكسوت نفسي · فمرّ عنها واتى الى شجرة الرمان ، فرآها كالعروس رافعة رأسها ، مزينة بالحلل ، وعلى رأسها خمار كلون الزمرد ، وقد احمرت وجنتاها كدم العاشق · فوصف لها حاله ، فلم ترد جواباً · وكلما ناداها بالحزن والبكاء ما سمع منها خطاباً · فجاءه النداء —

يا آدم ، دعها ، فان صوت العورة عورة · فمضى حتى أتى الى شجرة التفاح ، فرآها حزينة كئيبة قد اختضبت وجنتاها بدماء عينيها ·

فقال آدم — طلب المرهم من المجروح مكروه · ثم أتى الى شجرة الكمثرى

فرآها مطرقة رأسها ، متحيرة في امرها . ثم أتى الى شجرة الخوخ فرآها كالعطشان مسودة وجنتاها ، متعذبة في حالها ، من رقة ثيابها عَلَى اغصانها ، متكلمة بحالها ، مشتغلة بامرها .

فقال آدم — المراد من الخطيب استماع كلامه لا نزع ثيابه . ثم أتى الى شجرة العنب ، فرآها قاعدة في الصحراء في طرب ، باسطة ظلها ، مزينة بخضرة اوراقها ، ناشرة زلفها عَلَى عذارها .

فقال آدم — ان ظلها واوراقها كثيرة ولكن خشبها ايضاً كثير . لا يجوز الطلب منها . ثم أتى الى شجرة الجوز ، فرآها قاعدة في بيت مظلم بلا باب ولا كوة ، وقد طلت بيتها بالقير .

فقال آدم — لو كان لها مروءة لكان لبيتها باب او مشكاة . ثم جاء الى شجرة اللوز ، فرآها قاعدة كالجارية المطربة وفي حجرها الجنك وقد مدت يدها لتضربها .

فقال آدم — لا يجوز الانتفاع بثياب المطربة . ثم مرّ حتى انتهى الى شجرة التين وقد اصبح كالمسافر مسه الضنك والعناء . فرق له التين واستقبل آدم وحواء وقال مرحباً بكما . وأتى بهما الى منزله وضمهما اليه وقام الى خدمتهما بالاعزاز والاكرام واضافهما بحلاوته و كساهما من ثيابه . ولذلك يكرم المتصوفون التين ويعدونه صوفياً مكرماً لانه اتمّ طريق التصوف بقبوله آدم .

. . . . .

* سياحة الاخلاق

لما خلق الله الاخلاق قالت القناعة : انا أذهب الى الحجاز فقال الصبر — وانا معك .

وقال العلم — انا اذهب الى العراق . فقال العقل — وانا معك .

وقال الكرم — انا اذهب الى الشآم . فقال العز — وانا معك .

وقال الغنى — انا اذهب الى مصر . فقال الذل — وانا معك

وقال سوء الخلق — انا اذهب الى المغرب . فقال البخل — وانا معك .

وقال حسن الخلق — انا أذهب الى اليمن . فقال الحلم — وانا معك

وقال الشقاء — انا أذهب الى البادية . فقالت المروءة — وانا معك

وقال الفسق — انا أذهب الى الروم . فقال البغي — وانا معك

* الحق و الباطل

قال يزيد بن حبيب — خرجت الى الصيد ، فبينا انا يوماً ادور عَلَى شاطىء النيل اذا انا براهب في الماء وهو يغسل عباءة بالطين والماء . فوقفت انظر اليه . فنظر اليَّ وقال — اظنك ممن يطلب الاحاديث . فقلت — أجل . فقال — اصبر حتى افرغ من شأني واحدثك حديثاً نجده عندنا . فانتظرته حتى فرغ . ثم جاء فجلس فقال — انا نجد في علمنا هذا المثل :

« ان الحق والباطل اصطحبا في سفر . فمشيا الى الليل . فلما نزلا قال

الباطل للحق — اذهب فأتنا بشيء نفطر عليه . فذهب الحق فطلب فلم يجد شيئاً من حله ، فرجع . فقال له الباطل — ما صنعت ؟ قال — لم اجد شيئاً من حله . فقال الباطل — اجلس حتى آتيك . فذهب فلم يلبث الا يسيراً حتى جاء بشيء فقال للحق — قم فكل . فقال — ما اراه من حله ولست بآكله . فقال له الباطل — بعثتك لتأتيني بشيء فلم تجد شيئاً . فلما ذهبت انا وجئت بما نفطر عليه حرمته عليَّ ؟ فنازعه ، فوثب الباطل على الحق فقتله . ثم قال لنفسه — ان اهل الحق قد علموا انه قد خرج معي ولا بدَّ لهم ان يطلبوني به . فعمد الى حطب فجمعه ثم اضرم عليه النار حتى صار رماداً . ثم ذهب وتركه . فجاء اهل الحق فقالوا — ما فعل الحق ؟ فقال — لا علم لي به . فقالوا — معك خرج . فقال نعم ، ولا ادري ما فعل . فخرج اهل الحق يطلبونه حتى وقفوا عَلَى الموضع الذي احرقه فيه الباطل فقالوا — هذا رماد الحق وهذا موضع ناره حيث احرقه الباطل . فجمعوا رماده وصنعوا مداداً يكتبون به . فهذا ما بقي من الحق . فاما الحق بعينه فقد ذهب .»

❋ لذات الدنيا

قال محمد بن طاهر لابي العباس المكي نديمه صف لي الطعام والشراب والطيب والنسآء والخيل .

فقال — أيكون ذلك منثوراً او منظوماً ؟

قال — لا بل منثوراً .

فقال — اطيب الطعام ما لقي الجوع بطعم وافق شهوة .

قال — فما أطيب الشراب ؟

قال — كأس مدام تبرد بها غليلك وتعاطي بها خليلك .

قال — فاي السماع افضل ؟

قال — اوتار اربعة ، وجارية متربعة . غناوءها عجيب وصوتها مصيب .

قال — فاي الطيب أطيب ؟

قال — ريح حبيب تحبه ، وقرب ولد تربّه .

قال — فاي النساء اشهى ؟

قال — من تخرج من عندها كارهاً وترجع اليها والهاً .

قال — فاي الخيل أفره ؟

قال — الاشدق الاعين ، الذي اذا طُلب سبق واذا طَلب لحق .

❋ بضائع الشيطان

لقي احد الانبياء ابليس وهو يسوق اربعة أحمرة عليها أحمال . فسأله عنها . فقال

— أحمل تجارة واطلب مشترين .

فقال — ما احدها

قال — الجور .

قال — ومن يشتريه ؟

قال — السلاطين ·

قال — فما الثاني ؟

قال — الحسد ·

قال — فمن يشتريه ؟

قال — العلماء ·

قال — فما الثالث ؟

قال — الخيانة ·

قال — فمن يشتريها ؟

قال — التجار ·

قال — فما الرابع ؟

قال — الكيد ·

قال — فمن يشتريها ؟

قال — النساء ·

* وصية قائد عظيم

لما شعر المهلب ابن ابي صفرة — وهو أحد قواد العرب العظام — بدنو اجله دعا من حضر من اولاده ، وهم قبيصة وعبد الملك وحبيب ومحمد والمفضل — وكان ابنه الاكبر يزيد غائباً · ثم دعا بسهام فحزمت وقال :

— أترونكم كاسريها مجتمعة ؟

قالوا — لا · قال — أفترونكم كاسريها متفرقة ؟ قالوا — نعم

قال — فهكذا الجماعة · فاوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم ، فان صلة الرحم تنسىء في الاجل وتثري المال وتكثر العدد · وأنهاكم عن القطيعة ، فان القطيعة تعقب النار وتورث الذلة والقلة · فتحابوا وتواصلوا واجمعوا امركم ولا تختلفوا وتباروا تجتمع اموركم · ان بني الام يختلفون فكيف بني العلات · وعليكم بالطاعة والجماعة · وليكن فعالكم افضل من قولكم ، فان أحب للرجل ان يكون لعمله فضل عَلَى لسانه ، واتقوا الجواب وزلة اللسان ، فان الرجل تزل قدمه فينتعش من زلته ، ويزل لسانه فيهلك · اعرفوا لمن يغشاكم حقه ، فكفى بغدو الرجل ورواحه اليكم تذكرة له · وآثروا الجود عَلَى البخل · واحبوا العرب واصطفوا العرب ، فان الرجل من العرب تعده العدة فيموت دونك ، فكيف الصنيعة عنده ! عليكم في الحرب بالاناة والمكيدة ، فانها انفع في الحرب من الشجاعة واذا كان اللقاء نزل القضاء ، فان أخذ رجل بالحزم فظهر عَلَى عدوه قيل : اتى الامر من وجهه ثم ظفر فحمد ، وان لم يظفر بعد الاناة قيل : ما فرط ولا ضيع ولكن القضاء غالب · وعليكم بتعليم السنة وادب الصالحين واياكم والخفة وكثرة الكلام في مجالسكم · وقد استخلفت عليكم اخاكم يزيد وجعلت اخاكم حبيباً اميراً عَلَى الجند حتى يقدم بهم عَلَى يزيد فلا تخالفوا يزيد ·

فقال له ابنه المفضل — لو لم تقدمه لقدمناه

من اقوال الخلفاء

«٣» : —— * الخلفاء العباسيون *

(تابع ما قبله)

(الواثق · سنة ٨٤٢ — ٨٤٦)

وصروف الدهر في تقديرها ... خُلقت فيها انخفاض وانحدار

بينما المرء على اعلائها ... اذ هوى في هوةٍ منها فحار

انما متعة قوم ساعة ... وحياة المرء ثوب مستعار

(المتوكل · سنة ٨٤٦ — ٨٦١)

— اذا خرج اليك توقيعي بما فيه مصلحة للناس ورفق بالرعية فانفذه ولا تراجعني فيه · واذا خرج بما فيه حيف على الرعية فراجعني فان قلبي بيد الله · (قال لوزيره)

— انما انا عبدالله · وان من صار الى التراب لحقيق ان يتواضع ولا يتكبر

(المنتصر · سنة ٨٦١ — ٨٦٢)

— لذة العفو أعذب من لذة التشفي ، لان لذة العفو تتبعها حميد العاقبة ولذة التشفي يلحقها ذم الندم ·

— اقبح افعال المقتدر الانتقام ·

(المعتز · ٨٦٥ — ٨٦٨)

(الخلافة) امر لا أطيقه ولا اقوم به ولا اصلح له

اني عرفتُ علاج الطب من وجعي ... وما عرفتُ علاج الحب والخدع

جزعت للحب والحمى صبرت لها ... اني لاعجب من صبري ومن جزعي

من كان يشغله عن الفه وجع ... فليس يشغلني عن حبكم وجعي

وما أملّ حبيبي · ليتني ابداً ... مع الحبيب ويا ليت الحبيب معي

(المهتدي · سنة ٨٦٨ — ٨٧٠)

اريد ان احمل الناس على سيرة الرسول واهل بيته والخلفاء الراشدين · دعوني حتى اسلك مسلك عمر بن عبد العزيز فاكون في بني العباس مثله في بني امية ·

حقٌ للانسان ان يحب الدنيا · منها خلق فهي امه · وفيها نشأ فهي عيشته ومنها قدّر رزقه فهي حياته · وفيها يعاد فهي كفاته · وفيها اكتسب الجنة فهي مبدأ سعادته · والدنيا ممر الصالحين الى الجنة فكيف لا تحب طريقاً تأخذ بسالكها الى الجنة في نعيم لا يزول ·

(المعتمد · سنة ٨٧٠ — ٨٩٢)

اذا عدم اهل الفضل هلك اهل التحمل ·

« البقية تأتي »

فكاهات

— كذبة بكذبة —

حضر احد الجنود الاميركية وليمة في بيت صديق له في انكلترا . فشرع يخبر المدعوين بعظمة بلاده ولا سيما بجمال مقاطعة الغرب وغناها الطبيعي وسعة حقولها الى ان قال :

— ربما تعدوني مبالغاً . ولكني اوءكد لكم ان صديقاً لي عنده مزرعة واسعة يبدأ بفلاحتها وزراعتها في الربيع فلا يتمكن قبل الخريف الا من زراعة ثلم واحد . فلما ينتهي منه يعود من حيث ما بدأ وقد نضج ما زرعه فيشرع بالحصاد .

فقال له رب البيت .

— هذا بسيط . وان لي صهراً في تلك النواحي له مزرعة تشبه مزرعة صديقك سعةً وكبراً . فبعد ان مرَّ عَلى زواجه اسبوعان ذهب وزوجته ليحلب البقرات المتفرقة في المراعي . فلما عادا كان لهما ولدان يحملان جرار الحليب .

. . . .

العاشق — ان حبي لك يا منية الروح ليشبه نضارةً وارجاً هذه الوردة

التي غرستها في شعرك .

الحبيبة — صدقت . فان هذه الوردة ليست طبيعية بل اصطناعية

. . . . .

تزوج شاب سوري بفتاة أميركية وعقيب زواجه باشهر ذهب ليزور عماً له متقدماً في السن قاطناً في احدى مدن الداخلية الصغرى. فرحب به العم وسأله تلك الليلة

— سمعت انك تزوجت يا خليل كيف العروس؟ موافقة ؟

— نعم يا عمي

— أتحسن الخياطة وتعلم كيف تعتني بثيابك كما ينبغي ؟

— لا يا عمي

— عجباً . أتحسن اذاً الطبخ وقضاء حاجات المنزل ؟ أعلمتها طبخ الكبة والمحاشي ؟

— لا يا عمي . العروس لا تعرف شيئاً من ذلك فهذا كله يفعله الخدم

— لابأس . لابأس . اذن لا شك معها مال ؟

— لا يا عمي . ليس لها شيء من ذلك . ولكن لو سمعتها تغني لسحرتك . فان صوتها فتان يأخذ بمجامع القلوب

فقال العم وقد فرغ صبره — اذا لم تكن عندها غير الصوت الحسن فلماذا لم تشترِ لنفسك فونوغراف وتوفر ثقلة الزواج

من قمطر المحرر

نظرات خصوصية

« الجندي مخائيل نعيمه »

كان اديباً بين الادباء فاصبح الان كمياً مع الكماة . كان يجاهد في حقل الادب محاولاً رفع شأن امته بواسطة ترقية آدابها ، ساهراً لياليه ، منكراً ذاته دارساً ، منقباً ، مفكراً ، باذلاً ما في وسعه ليكسب المعركة . فاصطفته الانسانية ليجاهد في حقل أوسع واعظم — في حقل مخصب تُروى تربته بالدماء لتنبت عليها ثمار حرية الامم . وآلات الحراثة فيه ليست سوى السيف والبندقية والمدفع .

ترك مخائيل نعيمه القلم ليتناول السيف ، والسيف اصدق انباء من الكتب . واصبح جندياً بسيطاً بين ملايين الجنود المتألفة منهم قوى الديموقراطية فهو الان جزء من قوة الانسانية يقاتل بسلاحه كما قاتل قبلاً بقلمه

استلم مخائيل نعيمه منذ عهد قريب دفة ادارة هذه المجلة ليشارك رفاقه في جهادهم ولكنه لم يستطع ان يمكث معنا اكثر من ثلاثة اشهر لان دمه الحار ما فتئ يفور ويثور . فكان يساجل نفسه ويلومها ويظن نفسه مقصراً مخلداً الى السكينة بينا ابناء الانسانية الحقيقيون في هرج ومرج يزجون انفسهم في عراك الجبابرة ليصيروا من الجبابرة . وطالما سمعته يحدّث نفسه ان لا حق له باستنشاق هذا الهواء والتمتع بنور الشمس ولذات الحياة ما دام

الالوف غيره يضحون كل اطايب الحياة في سبيل الحرية . وطالما تعجب من جلوسنا — نحن شبان سوريا — في الظل بلا نفع او ضرر للانسانية بيننا شبان بقية الامم يطرحون انفسهم في معصرة الامم لتبقى من اجسامهم بضع نقط من الدم تُروي حقل الانسانية

هكذا شاء مخائيل نعيمه ان يحضر وطيس الجبابرة وان يكون نقطة من المداد الذي سيسطر به التاريخ شرائعه الجديدة . وهو الان في فرنسا يتدرب للسير بعد قليل الى ساحات القتال — ليرافق الجنود في موكب النصر — رافقته ملائكة السلامة وارجعته الينا ظافراً في جهاده .

ادارة هذه المجلة تشعر بشيء من الفخار . او بالحري يحق لها ان تفتخر بانها دفعت قسطها المفروض عليها في سبيل الانسانية . اثنان من عمالها الان يشهدان معمودية الدم والنار — الاول جورج شخاشيري في ساحة فلسطين ، والثاني مخائيل نعيمه في فرنسا وكلاهما من الذين تعقد عليهما الامال . اعادهما الله الينا مكللين بالغار شاعرين بانهما قاما بالواجب ودفعا ما لقيصر لقيصر وما لله لله

— كتابا جبران : « المواكب » بالعربية . و « المجنون » بالانكليزية —

لم نكد نعلن عزم جبران على طبع كتابه الغريب النفيس المدعو بالمواكب حتى علمنا ان ناشر كتبه بالانكليزية قد بدأ بطبع اول اتعابه بتلك اللغة الا وهو كتاب « المجنون » . وسيصدر هذا الكتاب عما قريب . وربما تخاطفته الايدي قبل صدور « المواكب » بل قبل صدور هذا الجزء من الفنون

صدور كتاب لجبران بالانكليزية يهمنا لاننا — عدا الزيادة في غنانا الادبي — سنري العالم الاجنبي بعض ما لدينا من بضاعة الادب النفيسة ·

وشد ما كان طرب كاتب هذه السطور حين قرأ في جريدة « نيويورك تايمس » — في قسمها الكتبي — خبر كتاب جبران وثناءً عليه ووصفاً للموءلف ملخصه — « ان جبران يُحسب اشهر الشعراء الحديثين في الشرق الادنى ·» وكفى بذلك مفخرة !

اننا ننتظر صدور « المجنون » لنوافي القراء برأينا ورأي الاجانب فيه ·

« رباعيات ابي العلاء المعري »

منذ عشر سنوات نقل امين الريحاني الى الانكليزية بعض اشعار ابي العلاء المعري « اعظم شاعر سوري » في شكل رباعيات تحدى بها رباعيات فتزجرالد المقتبسة عن الخيام الشهير · فكأني به نشر ابي العلاء من قبره وأبرزه لاهل الغرب الذين قدروه حقيقة قدره بعد أن انكره مواطنوه اهل الشرق · ولم يلبث ذلك الديوان المنقول الى الانكليزية ان نفدت نسخاته لما كان من اقبال القوم عليها · وألحّ كثيرون من مناصري الادب على الريحاني ان يعيد طبعه فلم يرَ الا ان يلبي الطلب هذه السنة · فنقح الرباعيات وأتقنها ودفعها الى الطابع ولا تمضي ايام قليلة حتى تتداولها ايدي الناس ·

فجدير بكل سوري ان يقتني هذا الكتاب لانه عنوان فخر لكل سوري· شاعر القرن الحادي عشر يتكلم فيه الانكليزية بلسان شاعر القرن العشرين بل هو انموذج من غنانا الادبي الثمين يجب ان نباهي به ونعرضه امام اعين

الغربيين قائلين — هذه بعض اقوال اعظم شاعر سوري قام حين لم يكن في الغرب شعر ولا أدب ·

ارحبُ بهذه النفحة من روح المعري واراني غير متمالك ان اقول : ما اشوقني الى كريم ينفق عليها ويطبعها طبعة مصورة تضاهي طبعات رباعيات خيام بالانكليزية · فيكون هذا الانموذج من بضاعة الشرق الادبية تاماً بجماله مقنعاً بكماله ·

« بعض ما يجب علينا »

لنا في الفرقة الشرقية اخوان مجاهدون · واكثرهم من خيرة شبيبتنا ادباً وغيرة · تطوعوا كلهم عن حماسة واستقتال لردع المظالم وكشف الغمة عن تلك الامة التي لم تلق الا كل ذل ونقمة

هوءلاء الخلان ما برحوا يتعاهدون الفنون باخبارهم وبشائرهم وينقلون اليها ما يعثرون عليه من آثار مظالم الاتراك · وآخر ما وصلنا منها تلك الصورة التي هاج لها كل ذي ضمير ودم — « صورة المشانق في عاليه » · وقد نشرتها الفنون واكثر الجرائد في حينها ·

وقد عزمت الفنون ان تصدر عدداً خاصاً تسمه بذكرهم اكراماً لجهادهم فخابرناهم ليرسلوا الينا بعض الرسوم والاخبار فكان الجواب مبشراً بان القيادة اذنت لهم اذناً خاصاً بأخذ الرسوم اللازمة بمشارفة احد الضباط واعداد المواد الضرورية لعل ذلك يكون موءثراً في اخوانهم المتخلفين ·

ثم وقع الينا من الجندي جورج شخاشيري احد المجاهدين في سبيل

الفنون سابقاً انه وبعض رفاقه اصدروا نشرة هم حرروها ورتبوها وطبعوها لتنقل اخبارهم للمهجر وتبث فيه طرفاً من روحهم الحماسية · واخبرنا انه ارسل الينا بضع مئات منها لنبيعها بثمن زهيد ليجتمع لدينا ما يوازي اجرة الطبع والاكلاف -- وكلها لا تزال ديناً عَلَى اخواننا في الفرقة الشرقية · الا اننا لسوء الحظ لم نستلم حتى الان تلك النشرة لنحقق آمال الاخوان

قلنا : ما اسمى عواطفكم يا فتيان الفرقة الشرقية · ألم يكفكم ما ضحيتموه في سبيل الوطن وما حرمتم انفسكم من الاطايب وما تجشمتموه من المتاعب حتى ركبكم الدين لاجل طبع نشرة ليس لكم منها نفع الا ما رفع اسم مواطنيكم في المهجر ·

أليس من العار عَلَى المهاجرين أن يتناسوا جنودهم ! أليس اجحافاً بحقوق الوطنية اننا حتى الان لم نتبرع بدرهم لمشترى هدايا لاولئك المجاهدين في فلسطين تخفف عنهم بعض المصاعب كاللفائف والكتب وما شاكل ·

لذلك رأت ادارة الفنون ان تأخذ الامر عَلَى عاتقها بعد أن احجمت عنه الجرائد · وهي تريد ان تجمع هذه القيمة من المال وترسلها الى الفتيان السوريين في الفرقة الشرقية ليستعملوها في حاجاتهم · وحتى الان قد لبى نداءها فريق سنسطر اسماءهم مضمخة بالثناء في العدد القادم ، وفي الجرائد ·

فعسى ان تلبوا يا قراء الفنون نداءنا ويخص كل فرد منكم جندياً من الفرقة بما يفيض عنه من المال الذي انعم الله عليه به في هذه البلاد · ارسلوا حوالاتكم الى عنوان الفنون ولا تؤخروا عمل اليوم الى غد — يكفي اليوم شره

22
31
7

Published and distributed under permit No. 265 Authorized by the act of October 6, 1917. on file at the Post Office of New York, N. Y. By order of the President A. S. BURLESON, Postmaster General.

AL-FUNOON

AN ARABIC REVIEW OF LITERATURE AND ARTS

Published Monthly by

Al-Funoon Publishing Co. Inc.

72 Trinity Place

New York

ANNUAL SUBSCRIPTION IN THE UNITED STATES COLONIES, CANADA AND MEXICO $6.00
IN FOREIGN COUNTRIES $7.00

AUGUST 1918

VOL. III **NO. 8**

"Entered as second class - matter June 16, 1916, at the Post Office at New York, New York, under the act of March 3, 1879"